گلاویژ صالح فتاح

# الأم و الأبن

قصـــــة

الترجمة الى العربية : بقلم مؤلفتها گلاویژ-لندن
١٩٩٣

- الأم والأبن -قصة-.
- المؤلفة: گلاوێژ صالح فتاح
- ترجمتها عن الكردية - المؤلفة-.
- لوحة الغلاف الفنانة التشكيلية الكردية چيمن أسماعيل.
- التصميم وفرز الغلاف: سامان محمدصالح.
- مطبعة: تيشك.
- رقم الأيداع (٤٢٤) من وزارة الثقافة بحكومة إقليم كردستان.
- الطبعة الثانية - السليمانية ٢٠٠١.

# الأهداء

الى ملهمتي، الى التي دفعتني تضحياتها وتفانيها وشجاعتها
لكتابة هذه القصة.. الى أمي الحبيبة
گلاويژ

# شكر وتقدير

أقدم باقة ورد عطرة لروح الشاعر الكبير المغفور له بلند الحيدري الذي راجع هذه القصة في وقتها وشجعني كثيراً.

وكذلك أقدم جزيل شكري وتقديري للدكتور صلاح نيازي الأديب المرموق الذي راجعها بدوره عندما ترجمتها الى العربية في لندن.

وأقدم كل تقديري وامتناني للكاتب والأديب والصحفي الكبير الأستاذ عباس البدري الذي حمل عني عبء تصحيح الأخطاء المطبعية الكثيرة وساعدني على تهيئة هذه الطبعة الجديدة.

گلاويژ

٢٠٠١/٩/١٥

السليمانية

# هذه

# القصة الروائية

## (الأمُ والإبن)..قصةُ فصلٍ عاصفٍ من التاريخ السياسي الكردي.

عباس البدري

عندما يتساءل البعض عن أسرار بقاء الأعمال الروائية الكلاسيكية وتجدّدها فأن كُلاً يفسرها حسب رأيه وقراءته وتذوقه الخاص.

وبرايي فأن السرَّ في ذلك هو أن ذلك الطراز من الروايات يعتبر (صورة للحياة)على العكس من الروايات والقصص التي تمرّ بـ(الحياة) بشكل عابر، أو على الأقل بمحاذاتها، مثل من يلقي بتحيةٍ خاطفة، ثم يغيب في الزحام وهو لايلوي على شيء!

لقد عاشت (الأم) لغوركي و (أم الهند) الرواية التي تحولت الى شريط سينمائي ذائع الصيت، و(الأرض الطيبة) لبيرل باك و(النخلة والجيران) لغائب طعمة فرمان و (مخاض الشعب) للسياسي والروائي والشاعر الكردي الراحل إبراهيم أحمد، ..في سياق الأمثلة وليس الحصر، لا لسبب مجهول أو غامض، بل لأنها تمثل (صوراً للحياة) بأوسع آفاقها وأبعد أعماقها.

ولدينا الآن هذه (القصة الروائية) للسيدة (گلاويژ)، وعنوانها (الأُم والأبن) كتبتها باللغة الكردية وترجمتها بنفسها الى العربية، نموذجاً زاخراً بالأحداث والشخصيات لذلك الطراز من الأعمال

الروائية المصوّرة للحياة بتفاصيلها الشائكة وعقدها المأساوية- المضطربة، من خلال المعايشة والمشاركة في أحداث ووقائع حقبة سياسية عاصفة في مدينة السليمانية بكردستان العراق، وهي حقبة تصل الى ذروة الأنفجار في الدقائق الأولى لوقوع ثورة ١٤تموز عام ١٩٥٨.

ولأن المؤلفة، وهي عقيلة القائد السياسي والروائي الكردي الراحل الأستاذ إبراهيم أحمد، قد عايشت كل فترات نضاله السياسي منذ إقترانها به، وكانت كاتمة أسراره ورفيقته حتى آخر لحظة من حياته، فهي تختزن في ذاكرتها فصولاً كاملة عن حوادث ومجريات تلك الحياة المحفوفة دائماً بالمخاطر الداهمة، ومنها محاولة إغتياله رمياً بالرصاص من قبل الأقطاعيين، حيث كان يمارس المحاماة أيضاً، وعُرف بـ(محامي الفلاحين)،.. كما وأنها، أي الكاتبة تختزن في ذاكرتها فصولاً أخرى من حياة الشخصيات السياسية والوقائع والأعراف والتقاليد الأجتماعية، وإحداثيات مدن السليمانية وكركوك والموصل وبغداد، من سجن الى سجن ومعتقل بعد معتقل، فضلاً عن تضاريس ومشاهد الريف الكردستاني والطراز المعماري والمعيشي للمنزل الكردي في تلك الحقبة وأسماء الحارات والأزقة والشوارع والميادين العامة والزيّ القومي للمرأة الكردية، وقد صَبَّتْ كُلّ ذلك في رؤية روائية تتحرك صولها بحيوية، فتضطرب أحداثها بقوة، وتنبض شخصياتها بكهربائية الحياة حتى بعد خمسين عاماً، لكي (يشاهد) القارىء من الجيل المعاصر على وجه الخصوص، كيف وصلت إليه هذه

(التجربة الديموقراطية)التي اعقبت إنتفاضة آذار كردستان عام ١٩٩١، من خلال الأحداث الخطيرة والشخصيات السياسية المضحية، والتي ظلت صورها ونماذجها تتواصل وتتكرر.. ربما حتى يومنا الحاضر.

والرواية تحفل بنماذج إنسانية متنوعة ومتباينة في نبلها وتضحياتها، وأخرى في جاسوسيتها وجبنها وخنوعها للحكومة القمعية، ولكن، وحتى بين رجال الشرطة آنذاك نعثر على نموذج من (الأنسان الراقي بوطنيته في داخله)، يغامر وبكل جراة في نجدة المناضلين ومدّ يد العون اليهم في أوقات المخاطر الجسيمة.

ولاتنأى الكاتبة عن النّص الحقيقي والواقعي للمواقف المشهودة للمراة الكردية في الأيام الصعبة، فتلتقط وببساطتها المعهودة نماذج غايةً في الأشراق والعزيمة لنساء كرديات رائعات في جراتهن وصمودهن وجمالهن، ومن ثمّ إصرارهنّ على الذهاب مع (رفيق العمر) أو (فلذة الكبد) حتى النهاية مهما كانت العواقب قاسيةً ووخيمة.

إن قراءة فصل عاصف من التأريخ السياسي الكردي هو جزء حيّ وحقيقي في رواية (الأم والأبن)..، وهي قراءة واضحة غير متلبسة بالتداعيات المبهمة والأبهامات الغامضة، وانا شخصياً إسترجعت من خلالها وقائع وأحداث ماينهاز أربعين عاماً عاصفاً.. من حياتي!

# مقدمة

أيها القارئ الكريم

ليست قصة (الأم والأبن) الا مرآة لحياة عدد من المناضلين الأكراد، أبان العهد الملكي في العراق. مرآة حية لمعاناتهم القاسية يومذاك، ونشاطاتهم ٧١لسياسية وما انعكس عليها من ضروب التعذيب على ايدي جلاوزة رجال الأمن والأجهزة القمعية الخاصة.. الذي كان مجرد الأتيان على ذكرهم يلقي الرعب، ليس في قلوب المناضلين وذويهم فحسب، بل وحتى في قلوب كل من ينبس باسم الحرية، وكل من يحلم بالديمقراطية ولقد عشت انا في مثل هذه الظروف الصعبة ومنذ ان كنت طفلة.

واذا كان البعض منا، وهم على حق يروون بان العهد الملكي وبكل ما يؤخذ عليه من نواقص ومظالم وأخطاء واستبداد يظل صفحة مشرفة من تأريخ العراق، اذا ما قيس بما عاناه الشعب العراقي على أيدي معظم الحكام الذين جاؤوا بعد الأطاحة بالعهد الملكي وعلى الأخص العهد الحالي، الذي هو غنى عن أية اشارة نظراً الى ضخامة جرائمه.. الا ان ذلك، ومهما كانت جرائم الأنظمة المتلاحقة في العهد الجمهوري كثيرة وكبيرة، يجب ان لايدفع بنا الى

الترحم على العهد الملكي، ونسيان ما عاناه شعبنا يومذاك من سجن وتعذيب وتشريد وسياسة عنصرية وطائفية ورجعية وطبقية.

ولو كان من حكموا، ان يحكموا بالعدل والأنصاف والأمانة، وان يأخذوا انفسهم بالمبادئ الأنسانية، وان يعملوا لخدمة الشعب لما حصل ما حصل، ولما كان لشعبنا ان يصل الى ما وصل اليه اليوم، وما تقع عليه من محن ومآس لم يشهد العالم مثيلاً لها.

گلاويژ–لندن

حدث ذلك في ظهيرة يوم قائظ من ايام الحكم الملكي وفي مدينة (السليمانية) وفي احد البيوتات المعروفة بنضال ابنائها.

تهرع الزوجة الشابة (تريفه) نحو مهد طفلها الذي قد يتجاوز الستة اشهر، وهو يبكي بحرقة. وبعد ان ترفعه من المهد وتحضنه وتقبله بحنان وتعيد اليه الهدوء والطمأنينة تأتي الى الطارمة المطلة على صحن الدار حيث زوجها (عزيز) هناك وكان قد رجع قبل قليل من اداء وظيفته خارج الدار. وبدا لها منهمكاً بتناول غذائه وما ان انتهى حتى نظر اليها بشيء من الرقة والحنان وقال لها:

-مابك يا عزيزتي؟ انك لست على مايرام هل انت منزعجة من شيء ما؟

تنهدت تريفه بعد ان دست حلمة ثديها في فم طفلها ومن دون ان تنظر الى زوجها مطت شفتيها وقالت بقنوط وانزعاج:

-وماذا تتوقع مني ان افعل؟ هل تريدني ان ادبك واغني؟

منذ زواجي منذ سنة ونصف الى الآن ونحن قد غيرنا ثلاثة بيوت وثلاثة احياء وثلاثة ازقة. منذ الصباح الباكر وانا منهمكة في ترتيب البيت وهل نسيت ان لي طفلاً صغيراً ويجب ان اعتني به ايضاً.

زفرت زفرة قوية واضافت بتذمر:

-الى متى سنكون على هذا الحال وهذا الوضع يا الهي.

رفع عزيز يده الى رأسه ومررها على ذقنه ورقبته وكأنه احس بالأرتباك من كلام زوجته ومد بصره نحو باحة الدار التي كانت لاتزال في حالة من الفوضى وقد تبعثر الأثاث هنا وهناك رغم انهماك تريفه في تنظيمه طيلة ذلك اليوم.

وكانت ما زالت علب الكارتون والصناديق وباقي الأثاث مثلما هي منذ البارحة عند انتقالهم لهذا البيت الجديد.

تململ وهو يحاول ان يخفف من مشاعر زوجته ومتاعبها:

-عزيزتي الم اقل لك ان تتركي الأثاث كما هو ولا تجهدي نفسك. وغدا الجمعة وسنكون كلنا في البيت وسنتعاون على ترتيبه؟

سكت للحظة ثم اردف قائلاً:

-بالحق ألم تأت (تاڤگه) لمساعدتك؟

-نعم كانت معي وساعدتني ولكن كما تعلم انها مكملة في الدراسة وقلقة بسبب ذلك وكل همها محصور في دروسها ومع ان والدتي كانت مريضة لكنها رغم ذلك ارسلتها لمساعدتي. رفعت تريفه رأسها الى السماء وقالت بشيء من الحدة:

-يالهي الى متى سنكون هكذا كالغجر كل يوم ونحن في دار. ان بيتنا الذي تركناه ماكان ينقصه شيء بالعكس كان كبيراً وله ذلك الفناء الواسع المملوء بكل تلك الأشجار والورود الجميلة التي كانت تسر النظر.

رد عليها عزيز وقد خفض صوته وكأنه يهمس:

-عزيزتي انك على حق ان دارنا السابقة كانت جميلة ومريحة ولكن لاتنسى ان اطراف الدار وبالأخص الساحة المقابلة لها كانت غير مسكونة وكلها مزارع واحراش وان افراد الأمن كانوا يرصدون جميع حركاتنا من هناك. ولكن هذا الحي يغص بالناس وبالمارة والجيران الطيبين فلا يمكن لرجال الأمن ان يأتوا الى هنا بسهولة دون ان تكشف هوياتهم وتلاحقهم اللعنات والنظرات الشزرة من المارة والجيران فلذلك ان هذا السكن ملائم جداً لأوضاعنا. نهض واقفاً واقترب من تريفه ومرر يده على راسها وشعرها الجميل وقال:

-حبيبتي لاتدعي القلق والهم يعكران عليك صفو حياتك وكوني على ثقة بان هذه الأوضاع مؤقتة ولن تدوم.. لهذا يجب ان نحيا بالأمل. وانا واثق بأننا سنطمئن ونرتاح في هذا البيت الجديد.

وبأبتسامة ملأت وجهه وكأنه اراد بها ان يبعث الطمأنينة لزوجته ويخفف عنها قال:

-ان جيراننا كلهم من الناس البسطاء وقد تعب رفاقنا كثيراً الى ان اهتدوا الى هذا الحي الآمن. ردت عليه تريفه وهي تداري ضحكة خفية:

-اتمنى ذلك. حيث انكم كنتم قد قلتم نفس الكلام عندما عثرتم على البيت السابق.

نظر عزيز مرة اخرى الى صحن الدار والأثاث المبعثر وقال في نفسه:

-ياترى هل اذهب واحاول ترتيب البعض منه او اذهب لأستلقي على الفراش قليلاً؟

ولكن كمن تذكر شيئاً اقترب من تريفه واخذ يداعب طفله وهو في حضنها وقال:

-تريفه هل جاءتني رسالة او رزمة من الرفاق هذا اليوم؟

قالت تريفه بحرارة:

-إي والله. وقد نسيت ان اخبرك بذلك ففي الصباح بعد ذهابك للسراي بنصف ساعة جاءني (كاكه پشكۆ) وسلمني رسالة لك وها اني ذاهبة لأجلبها لك.

اجابها عزيز:

لالا انك تعبة.. ارتاحي واخبريني عن مكانها.

قالت تريفه وهي تمسح فم طفلها من بقايا الحليب الذي كان يرضعه.

-في مهد (آسو) ارفع وسادته وستجد الرسالة هناك.

ذهب عزيز مسرعاً الى الغرفة التي كان فيها مهد آسو واخذ الرسالة وبدأ يقراها. وما هي الا لحظات حتى عاد الى تريفه وعلى وجهه علامات القلق والأرتباك.

هبت تريفه فزعة وقالت: خيراً. مابك اخبرني رجاءاً؟

رد عزيز بصوت خافت والرسالة بيده:

-انها رسالة من اخي (حمه) يقول فيها ان الدار التي يسكنها قد اجرت احدى غرفها قبل ايام لعائلة ولكن اتضح فيما بعد بان لهم نسيباً يعمل عريفاً في الشرطة، وقد اخذ يزورهم مرة او مرتين في اليوم الواحد. وهذا قد اقلق حمه والعائلة التي هو عندهم. فلهذا كتب لي بأنه يجب ان يترك تلك الدار هذه الليلة او ليلة غد ولأن الرفاق لم يتمكنوا ان يهيئوا له مكاناً مناسباً بهذه السرعة فأنه يجب ان يأتي الينا ليدبروا له مكاناً آخر.

شهقت تريفه خائفة وقالت:

-ارجوك يا الهي ان ترعاه وان تبعد عنه عيون الأعداء. انـي خائفة عليه وكيف يأتي الى عندنا وانت ايضاً مراقب من قبل الأمن والشرطة؟

رد عليها هامساً:

-لاتقلقي ان احداً منهم لن يعرف بيتنا الآن حيث اننا قد وصلنا ومن يومين فقط فلا خطر علينا او عليه إنه يتمكن ان يبيت عندنا ليلتين بسلام على اقل تقدير.

وفي مساء ذلك اليوم وفي قرابة الساعة الخامسة دخلت ام عزيز الى الدار وقد انهكها التعب ونالت منها حرارة الجو. وكانت تحمل بيدها سلة من الخوص فيها بعض الفواكه وصرّة كبيرة تحوي شيئاً من الملابس.

فهرع اليها عزيز بلهفة وهو يقول بصوت حفيف:

-ماهذا يا أمي اراك قد عدت بسرعة الم تتمكني من انجاز مهمتك؟

قالت والدته وهي تفك الشال الخفيف الأبيض من حول رأسها ورقبتها:

-قبل ان اجيبك ناولني جرة الماء انني عطشى وقد نشف ريقي من التعب.

ملأ لها كأساً من الماء البارد وناولها اياها.

شربتها دفعة واحدة وحمدت الله ومسحت وجهها بمنديلها وهي تقول مبتسمة:

-لله الشكر لقد انهيت واجبي على مايرام، ثم تلفتت حولها مكملة كلامها:

-اين تريفه لاتعرف كم كنت قلقة من اجلها لأنني اضطررت البارحة ان اتركها وهي في تلك الحالة.

فرد عليها بشوق:

-تريفه بخير هي في الغرفة الثانية، ولكن دعي هذا الكلام واحكي لي كيف انهيت مهمتك الصعبة؟

اجابت (شمسه) بزهو وهي ترفع كأس الماء لتشربه ثانية وقالت بهمس:

-لله الحمد نقلنا الأشياء بسلامة ومن دون ان يدري بالأمر أو يحس به أحد وكان كل شيء طبيعياً جداً.

جلس عزيز القرفصاء قرب والدته وقال لها بحنان واعجاب:

-تعيشي يا أمي. ثم صفق لها بهدوء وقال بأبتسامة وفخر:

-الم اقل في كل مرة (لتعش)(شمسه)[1] الحبيبة انها بحق بطلة.

احتضن عزيز أمه واكمل:

-اننا قد رضعنا من حليبك ولهذا تجديننا لانحني رؤوسنا. فكيف يكون لأناس أم مثلك ويكونون جبناء.

حث عزيز والدته على سرد تفاصيل مافعلت.

قالت والدته وهي تبتسم وقد لمعت عيناها ببريق اخاذ:

-عندما وصلت الى بيت رفيقيك كانا قد هيئا كل شيء وجمعاه. وفي ظلام الليل استودعانا وخرجا وبقينا أنا و (خوله).

وفي الصباح ذهبت معه الى السوق القريبة واشترينا بطيخة كبيرة وكمية من البامية والطماطة وإستأجرنا احدى العربات وعدنا الى مكاننا وعندها حملنا الأشياء التي كانت مهيئة الى العربة وذهب خوله ليجلس بجانب الحوذي هو والبطيخة وباقي الخضروات وجلست أنا في الخلف واضعة أمامي الشدتين الكبيرتين.

ضحكت شمسه من كل قلبها وارتمت الى الخلف وقالت لأبنها وهي مازالت تضحك ادهى من كل ذلك كان اصرار (باجى كولجين) على ان ابقى يوماً آخر لقد استحلفتني ان ابقى ولا اتركها وكانت تقول لي بحرقة أرجوك أن لاتغادرينا وابقي لدينا يومين آخرين فوالله قد فرحت جداً بقدومك وغداً سيعود ابني ابوبكر من (حلبجة) وسينوب عنك في حمل هذه الأشياء ولن يدعك تتعبين أبداً

ضحكت شمسه مقهقهة بحرارة وقد سالت الدموع من عينيها من شدة الضحك وقالت:

-عندما كانت (باجي كولجين) تقول لي هذا الكلام وتتوسل لبقائي كنت انا ايضاً اقول في نفسي دعيني اخرج بسرعة يامسكينة انك لو تعرفين ماذا في داخل هذه الشدة لفارقتي الحياة ذعرا.

ضحك عزيز كما كانت تضحك وقال:

-صدقت والله يا امي في حياتي لم أرَ من تخاف مثل باجي كولجين. انها لو كانت تعلم بمهمتك لكان قلبها قد توقف عن الخفقان فوراً من شدة الذعر. اكمل عزيز كلامه و..ماذا عن المكان الحالي حسب رأيك هل هو مكان جيد؟

-انه جيد جداً وممتاز وآمن ولكن صدقني اني كدت أجمد في مكاني عندما اقتربنا من الزقاق. حين رأيت أحد أفراد الشرطة واقفاً في راس الزقاق كمن ينتظر شيئاً، ولكن قلقي لم يدم سوى لحظة واحدة وبعدها عدت الى رشدي حين سمعت خوله يقول:

-سلام عليك (كاكه قادر) كيف الأحوال اتستقبل ضيوفاً؟ عندها رد كاكه قادر عليه (على الرحب والسعة) وتقدمنا الى داره، ابتسمت شمسه وقالت عندها تنفست الصعداء وقلت في نفسي ماذا دهاني كيف لم اعرف كاكه قادر ولماذا لم اميزه عن الآخرين. مسحت شمسه عينيها وقالت:

-اظن ان عيوني بحاجة الى علاج او نظارة. ضحكت واضافت ان العمر له حقوق كما يقولون العيون قد تعبت ايضاً وهذه سنة الحياة.

احتضن عزيز والدته مرة اخرى وقال:

-لاتقولي هذا الكلام يا امي الحبيبة فان عيونك ماشاءالله في أحسن الحال ومن المؤكد ان رؤيتك كاكه قادر وهو بملابس الشرطة هو الذي اربكك ولو كان احداً غيرك يتستر على تلك الأشياء الخطرة بنظر الحكومة، وهو ينقلها من مكان لآخر فعلا ان ابسط شيء من تلك الأشياء مثلاً هو ماكنة الطباعة الصغيرة، حيازتها جريمة تعرض حياة حاملها لأخطر الأحتمالات.

ولكن أنت ماشاءالله شجاعة وبطلة ولاتهابين اي مخاطر.

ردت شمسه:

-برأيي البطل هو كاكه قادر لأنه شرطي في الحكومة ويتعاون هكذا معكم في الخفاء. سأل عزيز والدته حقاً أين ذهب خوله؟ لماذا لم يعد معك؟

-ماذا تقول؟ احمد الله على مكوثه معي ليلة ونصف يوم دون ان يذهب الى مقهى ومن دون ان يلعب (الدومينة والطاولة) وعند وصولنا الى حارتنا استأذنني قائلاً-لاتنتظرينني الآن لأنني سأعوض ما فتني البارحة من لعب القمار.

قال عزيز:

-هل تعرفين يا امي اني كنت قلقاً عليك وكنت اعرف ان خوله سيزعجك بكثرة الأسئلة ولن يدعك تنهين اعمالك بهدوء وراحة. ولكن تعرفين كنا مضطرين. ان يكون هو مرافقك فأنت معه لاتثيرون الشبهات، لأن انت و خوله معروفون لدى جميع اهل المدينة.

تافففت شمسه قائلة-آه لاتذكرني بالذي فعله خوله معي وكثرة اسئلته التي كان ينزلها فوق راسي كالمطر المنهمر بدون انقطاع.. كان يسألني بأستمرار:

-لماذا اتينا الى هنا؟ لماذا ننقل هذه الأشياء؟ اصحابها ماذا حل بهم ولماذا يذهبون هم ويتركون هذا الأمر لنا؟

ان اثاثنا قد تركناه في البيت وهو مرمى على الأرض فلماذا نترك اشياءنا هكذا ونأتي لنساعد الآخرين؟ يجب ان توضحي لي ذلك انه امر محير.

ضربت شمسه صدرها بيدها وقالت:

-آه ثم آه من كثرة اسئلة ذلك الملعون.

ثم اكملت كلامها وهي تحدّق في ابنها بنظرة عتابية وقالت:

-حقا اريد ان اسألك سؤالاً. لماذا لاتردع هذا الملعون عن التردد بكثرة على المقاهي ولعب القمار؟

ضحك عزيز قائلاً لوالدته:

-بالله عليك دعيه يا امي يفعل ما يشاء اتحسبين ذهاب خوله المسكين الى المقهى ولعبه الطاولة ومراهنته على اقداح من الشاي

قماراً؟ انه يحب ذلك كثيراً وان سعادته فيه اتستكثرين عليه هذا اللهو البسيط؟

هبت شمسه واقفة لأن جسمها كان مرهقاً وقدماها تؤلمانها وقالت ويدها على ساقها:

-لأذهب واباشر بترتيب هذه الأشياء المبعثرة لايهدأ لي بالٍ إلاّ بعد أن أكون قد رتبت جميع الأشياء. فرد عليها ابنها بعطف:

-انك تعبة يا أمي فدعي هذه الأشياء حتى ترتاحين اكثر ويعود خوله أيضاً من المقهى وعندها سنباشر جميعاً بترتيب كل شيء سوية.

تذكر عزيز رسالة شقيقه حمه واراد ان يخبر والدته بذلك فقال:

-امي اتعرفين انني استلمت رسالة من اخي حمه هذا اليوم يخبرني فيها بمشكلة قد حصلت في المنزل الذي يسكنه ويريد أن يأتي عندنا غداً لحين ان يوفق الأخوان في تهيئة مكان آخر له يكون اكثر اماناً.

شهقت شمسه، ودقت على صدرها بيدها مرة اخرى قائلة:

-اية مشكلة لاسمح الله؟ ماذا حلّ بأبني؟ حبيبي. ارجوك اخبرني بكل التفاصيل بسرعة.

هدأ عزيز من فزع أمه وقال:

-لاتقلقي ان المشكلة ليست ذات اهمية. وبهدوء روى لها بعض التفاصيل المتعلقة بالحادث.

ردت شمسه على ابنها بشيء من الحزن-فديته بروحي انه يعيش دائماً في القلق منذ مدة وهو مستمر في تغيير مكانه. سكتت لتستعيد وتحصي الأمكنة التي انتقل اليها ابنها مختفياً من عيون رجال الشرطة والأمن الذين كانوا يطاردونه من مكان لآخر قصد القاء القبض عليه.

في اليوم التالي كان البيت قد بدا مرتباً ومنسقاً وصحن الدار قد كنس ونظف ورش بالماء والغرف وزعت على أفراد العائلة ووضع اثاث كل منهم في مكانه.

الطارمة المطلة على صحن الدار، التي كانت فيها حديقة صغيرة تزينها عدة شجيرات من التوت والرمان وعريشة عنب جميلة. ذلك كان الجو في تلك الطارمة التي هي في الطابق الثاني من الدار ينشرح القلب وخاصة لأن قسما من سلسلة جبال گوێژه الجميلة يتراءى شامخاً وعلى مد النظر في الجهة المقابلة للطارمة.

في ذلك المساء الهادئ الجميل كانت العائلة جالسة بعد يوم متعب ومرهق بسبب ترتيب البيت، وقد إتخذت شمسه مجلسها بجانب السماور وهو يغلي بهدوء ويبعث أصواتاً محببة الى قلوب محبي شرب الشاي وكانت رائحة القوري فواحة فوق السماور وقد ملأت المكان بنكهة لذيذة.

اما تريفه فقد جلست بمحاذاة حماتها وعمتها في نفس الوقت مشرقة المحيا فاتنة جميلة، وبكل ما تملك من جاذبية وبكل

عطرها وملابسها الكردية الزاهية التي زادتها جمالاً ودلالاً وخاصة لأنها كانت قد خرجت لتوها من الحمام.

وكان عزيز مع خوله منهمكين بترتيب المكتبة ورص الكتب على الأدراج ومع ان كل شيء كان يبدو هادئاً وجميلاً في البيت الا ان نفوس اصحابها كانت على العكس من ذلك وآذانهم ترهف السمع لألتقاط اي صوت، وكانت عيونهم الحائرة ترنو الى الطريق. ذلك الطريق الذي كانوا ينتظرون قدوم حمه عبره اليهم في ذلك المساء وعندما اقتربت الساعة من العاشرة بدأ القلق يثور في قلب شمسه فقالت بفزع:

-يارب إحفظه وأوصله بسلامة ياجماعة انني خائفة فأشرار الحكومة في كل مكان يترصدون الخطوات؛ يارب إبعد الشر ونظرات الأشرار عن ولدي.

-لماذا لم يصل الى الآن؟ ان الوقت قد تأخر وكان عزيز بدوره يذرع الطارمة ذهاباً وايابا تحت ذلك الضوء الخافت الذي كان يصلهم من المصباح الكهربائي الذي ينير زقاقهم وهو على مقربة منهم وبمحاذاة جدار بيتهم كانوا يكتفون بالأستنارة به بحجة ان مصابيحهم ستجلب لهم الحشرات وكانت هذه الحجة اعتادوا التذرع بها منذ امد طويل لكي يتعود الجيران عليها لأبعاد الشبهات حول قلة اضاءتهم المصابيح الأمر الذي التجأوا اليه للتقليل من رؤية مجئ وذهاب رفاق عزيز وحمه من المناضلين الذين يريدون الأتصال بهم بصدد مهامهم واجتماعاتهم الحزبية

التي كانت تزداد كلما زادت الظروف والأوضاع صعوبة واصبحت محفوفة بالمخاطر والأهوال.

كان عزيز قلقاً ولكنه كان يتظاهر باللامبالاة فيتصنع الأبتسامات ويوزع الكلام هنا وهناك مع والدته ليسري عنها الهم قليلاً لأنه كان يعرف ماكانت تعانيه في تلك اللحظات هبت شمسه مرتبكة فقالت:

-يا الله خير. انه صوت صافرة الشرطة؟ ماذا يعني ذلك؟ اني لخائفة.. يارب استر. فرد عليها عزيز مطمئناً:

-لا ياوالدتي انني لم اسمع صوت أي صافرة شرطة اظن ان الذي سمعتيه هو صفير الهواء الا تسمعين كم ان الهواء قوي هذه الليلة. ومرت ساعة اخرى وهم على حالهم ويكاد القلق ان يحطم اعصابهم فأذا بدقات خفيفة على الباب. هرع عزيز متلهفاً وفتح الباب بهدوء ودخل حمه مع أحد رفاقه، تعانق الأخوان بهمس وهدوء في حين جاءت شمسه متلهفة ملتاعة للقاء ولدها الحبيب. حضننه بشوق وحرارة واخذت تمطره بقبلات مصحوبة بما يشبه الهذيان:

-يا حبيبي. لماذا تأخرت؟ كاد قلبي يتوقف. اسمعت صافرة الشرطة؟ ظننت انهم قد شاهدوك وتعرفوا عليك صعدوا كلهم الى الطابق الثاني بكثير من الهدوء وتحت الضوء الخافت سألت شمسه:

-ماذا تشربون يا احبائي أشاياً أم شرابا بارداً؟

قال (فرهاد) صديق حمه:

-نكون شاكرين لك لو تكرمت علينا بشيء بارد فنحن متعبان، وقد قطعنا مسافة طويلة جداً، مشياً على الأقدام هبّ "خوله" قائلاً لعمته:

-اجلسي انت فأني ذاهب لأجلب كل مايريدون. بعد قرابة نصف ساعة من الأستراحة استأذن فرهاد من الجماعة وذهب في حال سبيله.

همس حمه لوالدته وقال:

-يا والدتي لن يطرق النوم عيوني مالم آخذ حماماً جيداً فقد مرت أسابيع عديدة لم أغتسل فيها. ان ظروف العائلة التي آوتني كانت صعبة جداً، حيث لم يكن لديهم غير غرفتين فقط وفي البيت تسكن عدة عوائل اخرى ثم اضاف ضاحكاً:

وصل بي الحال الى حد كنت في بعض الأحيان أقول لنفسي سأذهب خلسة الى حمام عام واغتسل واعود ثانية وليكن ما يكن. حقاً ان مسألة الحمام والأغتسال شيء لا أتمكن من مقاومته خاصة في مثل هذا الجو القائظ الخانق.

قال عزيز بأهتمام وبصوت منخفض جداً:

-ارجوا أن لاتنسوا ان الجيران جميعهم نائمين الآن واكثرهم فوق السطوح والآخرون في صحون دورهم.

قرب عزيز راسه من والدته وأخيه وقال لهما بهمس ان جيراننا الذين يفصلنا عنهم هذا الجدار الواطئ نائمون في صحن دارهم

ويجب ان نكون في منتهى الحذر بالنسبة للذهاب للحمام وصوت سكب المياه وغيره من تصرفات في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل.

قالت أمه وفي رنة صوتها حنان متدفق:

-انك على حق ياحبيبي يجب ان نكون حذرين ونتصرف بروية وهدوء تامين، ثم ابتسمت قائلة:

-ان الحظ بجانبنا هذه الليلة والحمد لله الرياح الشديدة (الرشبا) قد هبت منذ المساء وان زئيرها وزفراتها يطغيان على كل الأصوات فما بالك بماء الحمام ونهضت وهي تقول:

-لأذهب وأجلب لك الملابس النظيفة هيا ياحبيبي اسبقني الى الحمام انه جاهز.

في صباح اليوم التالي وكان يوم سبت هب عزيز على عجلة، وهيأ نفسه لمغادرة البيت والذهاب الى الدائرة. وعندما غادر الدار تمهل قليلاً عند الباب قال لوالدته بصوت مسموع كمن يريدان يسمعه جيرانه:

-والدتي لاتنسى أن ترسلي خوله الى المستشفى بسبب المغص الذي أصابه في هذه الليلة وأفسد علينا وعلى الجيران النوم والراحة.

قال عزيز هذا الكلام ليبعد الشبهات عنهم فكل الجيران قد أحسوا بحركات غير عادية في بيتهم بسبب مجيء أخيه في وقت متأخر من الليل.

أجابته والدته:

-كن مطمئناً ياحبيبي اني سأرسله حال استيقاظه من النوم، لقد تحسن حاله بعد أن أعطيته اليانسون وارتاح وذهب في نوم عميق فلهذا لاتقلق واذهب لعملك تصاحبك السلامة.

بعد ذهاب عزيز الى الدائرة هرعت شمسه مسرعة الى ابنها حمه تحتضنه وتقبله وتشرح له ما تعانيه بسبب بعده عنها وأخذت تمازحه وتتوسل اليه أن يُخبرها عن الأكلة التي يشتهيها ثم حدثته عن حالهاعندما تجلس الى المائدة وكيف تتذكره وكيف تغص باللقمة كلما مرت صورته في مخيلتها وكيف انه الآن في وضع غير مستقر وبعيداً عنهم ولن يستطيع أن يشاركهم جلوسهم حول مائدتهم احتضن حمه والدته وقرَّب راسه من صدرها كأنه طفل صغير وقال وهو يطمئنها:

-لا ياوالدتي لاتنغصي ايامك هكذا بسببي فأنت تعرفين انني لست اكولاً أو شرها، ضحك حمه واردف لقد تعودت على ذلك ففي بعض الأحيان الخبز والشاي يكونان بالنسبة لي بمثابة أحسن الوجبات والأكلات، خاصة عندما أرى أولئك الناس البسطاء الطيبين يلتفون حوله وكل منهم يمسك بيده قليلا من الجبن واللبن ويأكله بلذة مابعدهالذة مع قدح من الشاي فلهذا لاتهتمي من هذه الناحية.

قالت والدته أن عليه أن يخبرها عما تشتهيه نفسه لتطبخه له وأخذ حمه يفكر وهو يبتسم. جاءت تريفه وابنها وكذلك خوله

والتفوا حوله وكل من جهته يريد ان يبرز له مايكن من حب واعجاب وتقدير وكانوا كلهم في غرفة خلفية بعيدة نوعاً ما عن صحن الدار وكانت انسب غرفة ينام فيها ابنهم المختفي عن انظار الحكومة.

كان خوله بلسانه المتعثر يحكي له عن أحوال الجيران في زقاقهم الجديد ويعد مزايا بعض منهم ويسخر من البعض الآخر وتريفه وشمسه تضحكان مبتهجتين بثرثرة خوله الذي كان ابناً لأحد اخوان شمسه غير والد تريفه وكان خوله في طفولته قد اصيب بأحد امراض الأطفال الشائعة وعندما يئست والدته من شفائه أوكلته لعمته شمسه لتربيته وكانت تسهر الليالي بجانبه الى ان عادت له صحته ولكن المرض كان قد ترك فيه بعض الآثار الطفيفة مثل شروده في بعض الأحيان وتعثره عند الكلام في احيان اخرى ولهذا احبته عمته كثيراً وعطفت عليه وكان هو ايضاً لايفارقها ابداً وكان في العشرين من عمره. وكان خوله يستغل مرضه وشروده في بعض الأحيان وحسب مايراه مناسباً لتصرفاته. جلس حمه مع اهله في تلك الغرفة الخلفية ليتناول فطوره فاذا بطرقات قوية على الباب.

هبت شمسه واقفة وهي تشير باصبعها على الجماعة هامسة بهدوء وهرعت الى الباب وقلبها يخفق بشدة.

فتحت الباب بحذر فاذا بجارتهم التي تشاركهم الجدار الواحد تندفع داخلة الى الدار قائلة:

-لاسمح الله مالذي الم بكاكه خوله انني تألمت وقلقت عليه عند سماعي كاكه عزيز وهو يتكلم عنه وعن مرضه في الليل الحقيقة اننا قد سمعنا حركة مجئ وذهاب عندكم وكنت اود ان استطلع منكم الأمر لعلكم بحاجة الى مساعدة ولكن عدلت عن الفكرة عندما هدأت الحركة بعد قليل.

دعت شمسه زائرتها الى الدخول مرتبكة لاتعرف كيف تتصرف بسبب ابنها الذي لم تره منذ عدة أشهر وكانت تحلم بلقائه واعداد اصناف شهية من الأطعمة له، ولأن ظروفه غير مستقرة ويحتمل أن يأتي رفاقه لأخذه لمكان آخر في اية لحظة.

لعنت شمسه حظها من اعماقها وقالت في نفسها:

-انظروا الى هذا المأزق الذي صنعناه بأنفسنا لأنفسنا لو لم تكن ظروفنا اليوم هكذا وحمه المسكين مختفيا عن الأنظار لكنت حملت هذه الجارة المحترمة الحنونة على راسي ولكن كيف يمكنني أن أتصرف الآن بهذا الشكل ومن يدري الى أي مدى سيدوم بقاؤها وجلوسها معنا، وحتماً سيكون عليّ مجالستها، ومن الذي سيطهو الطعام لولدي؟

رحبت شمسه بضيفتها مرة اخرى بشوق مصطنع رفعت راسها نحو الطابق الثاني من البيت حيث كان خوله هناك ينتظر معرفة هوية طارق الباب بخوف وارتباك بسبب وجود حمه في البيت تعالى صوت شمسه بعض الشيء وضيفتها تتقدمها في صحن الدار لتصعدا معا الى الطارمة حيث المكان الأنسب للجلوس وقالت:

-خوله، عزيزي ها ان فاطمة قد جاءت لتسأل عن صحتك بسبب المغص الذي الم بك الليلة الماضية وكان الكلام الذي تفوهت به شمسه بمثابة انذار بمجئ ضيف وان على خوله ايضاً ان يمثل دور المريض، صعدت المراتان الى الطابق العلوي بين ترحاب خوله المصطنع بالمرض، وجلست الضيفة على واحدة من الأرائك الخشبية البسيطة المغطاة بشراشف قطنية مزركشة وجلست شمسه وهي ترحب بها وتسأل عن أحوالها وتسألها أي شيء تحب أن تشرب، وقالت الضيفة فاطمة بحرارة وهي تمسك بيد مضيفتها لتمنعها عن النهوض:

ارجوك ان تبقي حيث انت فقد شربت الشاي قبل لحظات وقبل مجيئي اليكم حتى ان أوعية الفطور مازالت على المائدة.

وقلت في نفسي لأذهب كي أطمئن عليك وبعد ذلك انجز اعمالي المنزلية، رحبت بها شمسه ثانية وثالثة ورابعة.

وبدأت فاطمة بسرد ما وقع من حوادث وما حدث لها ولأبنائها ولأقربائها وجيرانها. وانفتح فمها بكل اتساعه وكما لو انها كانت ابتلعت جهاز راديو وراحت تطلق الرشاشات بدون توقف وانقطاع. وهي تسرد تلك الحوادث، حوادث المغص ووجع المعدة وأسبابه وبدأت تحصي وتعد وتنصح وشمسه وخوله يصغيان لها وهما فاغرا الفم ولايدريان ماذا يفعلان مجئ هذه الزائرة الثرثارة. وبعد تواصل فاطمة بسردها سلسلة من تلك الأحداث انتهزت شمسه فرصة اشعال سيكارة لها ونهضت واقفة تنادي تريفه ان تأتي

وتجلس مع ضيفتهم حتى يتسنى لها ان تمر بالمطبخ بحجة تهيئة حساء خفيف لخوله المريض. جاءت تريفه بعد ان كانت في غرفة اخرى منهمكة بأرضاع طفلها لينام. بعد الترحيب الحار بالضيفة جلست تريفه قبالتها تحاول الدردشة والكلام معها وحاول خوله بدوره الهاءها ببعض الأسئلة بعد ان عرف كم هي ثرثارة. وليتسنى لعمته ان تفعل شيئاً.

دلفت شمسه الى غرفة ولدها بقلق وحيرة حيث كان بدوره منزوياً في أحد اركان الغرفة شبه المظلمة، وقد امسك بيده كتاباً وجلس قرب فتحة احدى الستائر يجول بعينيه بين سطوره وبهدوء ضربت شمسه صدرها بكفها واقتربت منه وقالت بصوت خافت:

-ياولدي الحبيب، ان مجئ هذه الزائرة في هذا الوقت غير الملائم قد افسد علينا كل شيء.

فرد عليها حمه بأبتسامة وكأنه يسخر من الأقدار قائلاً:

-لاتنزعجي يا امي فأهلاً وسهلاً بها ان المسكينة تريد ان تهتم بكم وتقدم لكم العون وتشرح لكم عواطفها وأحاسيسها ومن اين لها ان تلاحظ ظروفنا غير العادية. لاتهتمي فلن تمكث الا لمدة قصيرة وبعدها سنتمكن من الجلوس مع بعضنا والأستمتاع بوقتنا. أجابته والدته بحنان مشوب بحزن دفين قد يكون ماتقول صحيحا ياحبيبي. ان كل مايهمني هو سلامتك فقط لاغير ولنترك الأمر للقادر القدير.

خرجت شمسه من غرفة ابنها واتجهت نحو المطبخ وهي تداري دمعة ساخنة حائرة كادت ان تفضحها امام زائرتها ولم تكد تهبط آخر السلم وهي في طريقها الى صحن الدار حتى طرق الباب بشدة وتبعه صراخ وبكاء أحد الأطفال.

هرعت خائفة مرتبكة نحو الباب وفتحته فاذا بشابة لطيفة ترتدي ملابس كردية جميلة ومنسقة وهي تمسك بيد طفلها البالغ من العمر نحو خمس سنوات والطفل يبكي بحرقة وتمرد ويحاول الأفلات من يدها.

اتسعت حدقتا عيني شمسه بعجب وتعثرت الكلمات في فمها وقبل أن تسألها قالت الشابة:

-صباح الخير من فضلك يا خالة هل والدتي عندكم؟

وقبل أن تجيب شمسه صاحت فاطمة من الطابق الثاني للدار حيث كانت ترى مايجري عند الباب بحرارة وشوق:

-بخشان العزيزة انا هنا تعالي لنجلس قليلاً وبعدها سنعود معاً لدارنا..

أجابت بخشان وهي تحاول اسكات ابنها لا أتمكن يا والدتي. اني ذاهبة الى السوق ولديّ أشغال يجب أن انجزها وقد جئت بـ(سامان) ليبقى عندك ريثما أنجز أعمالي، هبت فاطمة بلهفة واتجهت بسرعة نحو حفيدها لتأخذه الى حيث كانت جالسة وهي تقبله وتتوسل اليه وتعده بكل ما يسره والطفل لايزال يصرخ بأعلى صوته وبكل مالديه من قوة ويتمرغ على الأرض ويكرر:

-اريد ان اذهب انا ايضاً الى السوق.

خلصت بخشان نفسها من الطفل وخرجت وهي لاتلوي على شيء تركت ذلك الصياح والعياط في دار هؤلاء المساكين وذلك الشاب القابع في تلك الغرفة المظلمة.

أخذت فاطمة تهدئ من روع حفيدها واصطحبته الى الداخل وهي تشير الى قطة كانت نائمة تحت عريشة العنب وقالت:

-انظر ياحبيبي الى هذه القطة الجميلة ها اني سأجلبها لك تعال والعب معها انها ليست شرسة انها اليفة حلوة تحب الأطفال وتلعب معهم.

اتجهت فاطمة نحو القطة وهي ممسكة بيد حفيدها. غير ان القطة فزت من نومها خائفة عند سماعها بكاء الطفل وضوضاء جدته، حيث قفزت هاربة بين أيديهم وتبعتها فاطمة وهي تحاول الأمساك بها ولكن من دون جدوى وتدخل خوله مذعوراً او مهدئاً الطفل غي آن واحد. مذعوراً خوفاً على حمه وهروب القطة حيث خيل لخوله بان جدة الطفل لم تكن لتووانى عن الدخول في كل الغرف بحثاً عن القطة وعند ذلك ماذا يمكن ان يكون حال الشاب المختفي؟ ولذا هب مسرعاً ليصحب الطفل وجدته الى غرفته التي تقع في الطابق الأسفل من الدار والقريبة من الباب الرئيسي اخذهما مندفعاً بحماسة وهو يسعى لتهدئة روع الطفل والهائه برؤية سيارات صغيرة ولعب يثير انتباهه.

دخل الثلاثة الى غرفة خوله التي كانت اشبه ماتكون بدكان بائعي الأشياء المستهلكة من كهربائيات الى ادوات حدادة ونجارة عتيقة وغير صالحة للأستعمال وقد عرف عنه هوايته لجمعه الأشياء بقصد تصليحها، ولكنه في الحقيقة كان يكدسها فوق بعضها البعض دون أن يمسها او يحاول اصلاحها او حتى بأن يرمي بها بعيداً عن غرفته انهمك خوله بتقليب وبعثرة تلك الأشياء المكدسة امامه وتصفح بعض الصفحات الملقاة امامه بنية أن يعثر على صور يلهى بها الطفل واخيراً تمكن من اقناع واسكات الطفل بأعطائه مجلة تحتوي على تصاوير للسيارات.

مسكت فاطمة بيد حفيدها وقالت:

-هيا اذن يا حبيبي لنعد الى الطابق الثاني عند شمسه حيث تنتظرنا لكن الطفل بدأ بالبكاء ثانية وهو ممسك بمجلته قائلاً:

-لا اريد ذلك اريد ان اذهب الى البيت، فاضطرت جدته الى أن تستأذن اهل الدار وتوديعهم بسبب بكاء الطفل. بينما اخذت شمسه تدعوهم بالحاح مصطنع ليبقوا معهم وليتغدوا معا هذا اليوم.. كان لسانها يقول لهم ذلك ولكن في أعماقها كانت تود لو تحتضن الطفل وتمطره بالقبلات لأنه لايرغب بالبقاء معهم وبذلك سيكون لها ان تتفرغ للعناية بولدها، ويتمكن ابنها ايضاً من العيش بشيء من الحرية خلال تلك الساعات التي كان سيقضيها بينهم.

بعد ذهاب الضيفة اغلقت شمسه وراءها الباب وعادت الى ابنها وهي تتحدث لنفسها بصوت خافت يا له من صباح ارجو من الله ان يجعل آخره خيراً.

اجتمع شمل العائلة مرة اخرى حول حمه واخذ كل منهم يروي ما حدث له في هذا الصباح بسبب الزيارة المفاجئة واخذوا يتبادلون النكات على الحدث غير المنتظر.

هبطت شمسه بسرعة السلم متجهة الى صحن الدار ومن ثم المطبخ وقد اكتظت مخيلتها بصنوف الطعام الذي ستطهيه لولدها الحبيب. فاذا بأصوات اقدام مسرعة تأتي من جهات عدة على سطح الدار مع صياح ووقوقة الدجاج، تسمرت شمسه في مكانها وبدأت تسمع ضربات قلبها وهو يدق بشدة غير انها عادت الى رشدها بعد لحظات على صوت رفيف جناح دجاجة هاربة القت بنفسها من السطح الى صحن الدار وعلى مقربة منها فاذا بشاب في حوالي الخامسة والعشرين من عمره يقف قبالتها على سطح الدار المطل على صحنها يقول مبتسماً:

-ارجو المعذرة انا متأسف على الأزعاج كنت اقوم بذبح عدة دجاجات لوالدتي لأننا سنستقبل ضيوفاً من اقربائنا هذا المساء وقد افلتت من يدي هذه الدجاجة الشرسة ورمت بنفسها في صحن داركم. ارجو المعذرة تمتمت شمسه بتلعثم وقالت:

-لاتهتم ياولدي العزيز ليس هناك اي ازعاج.

ثم تلفتت بسرعة نحو خوله الذي هرع بدوره عند سماعه هذه الأصوات المخيفة بالنسبة لهم فقالت أمه هيا (خولـه گيان) (خوله يا حياتي) اذهب بسرعة وامسك بالدجاج لهذا الجار العزيز.

قالت شمسه ذلك لأن الشاب اقترب من السلم الخشبي وهم بالنزول غير انه عند سماعه ذلك الكلام بقى في مكانه وخوله تبع الدجاجة التي كانت هائجة تنظر من مكان لمكان وتارة ترتطم بالجدار وبذلك الشباك وكأنها تحاول أن تهرب من قدرها.

بعد عدة ارتطامات هنا وهناك قفزت الدجاجة بسرعة فوق السلم المؤدي الى الطابق الثاني ودلفت مباشرة الى الغرفة التي كان حمه مختبئاً فيها وزجت بنفسها تحت سريره واختبأت بين صندوقين من الكارتون من بقايا الأشياء المنزلية التي لم تنسق بعد لضيق الوقت.

نظر حمه الى الدجاجة المسكينة التي كانت تلهث من الخوف والإرهاق وهمس وهو يبتسم-يامسكينة الم تجدي مكاناً في كل هذا البيت الا هذه الغرفة كأنك قد علمت ان فيها شخصاً قد اختفى هو الآخر عن الأنظار. رق قلب حمه للدجاجة وتحدث الى نفسه- يالظلم البائس الذي سيأكله مع اني ايضاً واحد منهم وأحب اكل اللحوم ولكن لا أتذكر اني قمت بذبح أي حيوان ولو كان عصفوراً صغيراً طوال حياتي.

في تلك اللحظة دار خوله حول الغرفة ورمى بنفسه على الدجاجة البائسة بسرعة البرق وامسكها وذهب بها ليسلمها الى صاحبها.

حوالي الساعة الثانية ظهراً عاد عزيز الى البيت وكان تعباً ومرهقاً وتوجه تواً ليسأل عن حال اخيه وبهمس قال:

-منذ ساعة وانا احاول ان اتملص واختفي من ملاحقة افراد الأمن السفلة الذين كانوا يلاحقونني حتى في سراي الحكومة من غرفة الى غرفة. وقد عملت المستحيل حتى لايتبعوني ويهتدوا الى البيت ولكن ليس من الممكن أن يبقوا هكذا فأنهم حتماً سيهتدون اليه في غضون أيام قليلة. انهم قد ذهبوا وسألوا عن بيتنا ولكن لم يعطيهم أحد المعلومات الصحيحة كذلك توجهوا الى دكان ابن عمي أيضاً بحجة شراء الخضروات وكانوا قد سألوه عن المكان الذي انتقل اليه ابن عمه عزيز وقد رد عليهم:

-وماذا تريدون منه وما شأنكم به؟

فردوا عليه:

-إن جماعة من اهل القرى كانوا يسألون عن عنوانه لأن لديهم قضايا في المحاكم وان ابن عمك هو وكيلهم عندها قال لهم ابن عمي:

-انا لاادري لأنني قد تخاصمت معهم منذ عدة اشهر فليذهب اهل القضايا الى السراي وسيجدونه هناك في غرفة المحاميين.

نهض عزيز واقفاً وقال:

-لاجدوى من كتم العناوين فهذه مدينة صغيرة واكثر الناس مولعون بالثرثرة ويحبون القيل والقال.

ضحك عزيز وقال:

-لابد انك قد سمعت عن الجارتين اللتين تشاجرتا قبل أيام وقالت الأولى للثانية متباهية ان ابني ابوبكر مناضل حزبي منهمك ليل ونهار في الأمور الحزبية والكتابة والقراءة وليس كأبنك الضال المتسكع في الشوارع والذي لاهم له غير ملاحقة بنات الناس وبعد يومين فقط من المشاجرة القي القبض على (ابوبكر) المسكين بسبب تباهي امه به وهكذا تتفشى الأسرار وفي بعض الأحيان بسبب حسن النية او السذاجة.

قال حمه معاتباً:

-الحق ان اللوم كله يقع على ابوبكر لأنه لم يوضح لوالدته الأمية الجاهلة المسكينة، كان عليه ان يشرح لها بعض الأمور ويخبرها بضرورة كتمان الأسرار المتعلقة بنشاطه السياسي عن كل شخص.

اما عزيز فقد علق بحرارة:

-نعم انه كما تقول يجب علينا قبل كل شيء أن نعمق وعي الناس البسطاء المحيطين بنا وان نجعلهم يشعرون بالواقع وأن يكونوا جديرين بتحمل المسؤولية.

دخلت عليهم والدتهم في تلك اللحظة وكانت رائحة المطبخ لاتزال بمريلتها وكذلك رائحة الأطعمة التي اعدتها لأبنها وللعائلة

لشد ما كانت تبدو متوردة الخدين وربما بأثر من شدة حرارة الجو وحرارة الموقد وتوجهت بكلامها لأبنها أهلاً بك يا عزيزي كيف كان الجو ولعلها كانت تعني أجواء العمل وظروف الملاحقة والمضايقة من جهة الأمن، فرد عليها ان الجو هادئ باستثناء مضايقات حثالات من الناس الذين نعرفهم وأعني أفراد الأمن هؤلاء الجبناء الذين لاهم لهم الا ملاحقة الناس الأبرياء والمواطنين الشرفاء وسعيهم لكتم أنفاسهم وترصد حركاتهم وسكناتهم أينما وجدوا وأينما حلوا او رحلوا.

لف عزيز ذراعه حول رقبة أخيه ونظر الى والدته قائلاً:

-دعونا من كل هذا انها أوضاع قد أصبحت مألوفة عندنا ولكن ماذا فعلتم اليوم تناقشتم وماذا أكلتم؟ وكيف قضيتم الوقت؟

ضربت والدته صدرها بكفيها وقالت مبتسمة:

أوه، يا له من صباح، ويا له من يوم مملوء بالحوادث والمنغصات كأنَّ الكل كان يعلم بأن حمه قد جاء اليوم ليزورنا ولهذا نزلت علينا المنغصات الواحدة تلو الأخرى ولكن لله الحمد مرت كلها بسلام وراحت تتحدث لأبنها عن مجيء جارتهم فاطمة ومجئ ابنتها وحفيدها والبكاء والصراخ والضجة التي ملأت بها دارهم تلك الصبية الشابة غير المبالية بما حملت من الأزعاج وتحدثت في الأخير عن الدجاجة التي هربت اليهم.

ضحك الجميع.

قال عزيز:

-حقاً كان الله في عونكم ولو انها حوادث غير ذات اهمية بالنسبة للناس العاديين ولكن بالنسبة لأوضاعنا فأنها منهكة للأعصاب.

سألت شمسه ابنها عزيز بشيء من القلق:

-الم يتبعك احد لمعرفة البيت؟

قال عزيز بزهو:

-لا لا ابداً عملت المستحيل وتسللت خلال اسواق ومررت بحوانيت وترددت على بيوت بعض الأقارب والأصدقاء الى ان إطمأنيت بانني قد اتعبتهم كثيراً وخاصة عندما كان وقت الغذاء. من تجربتي أنه في موعد الغذاء وعندما يعصر الجوع بطونهم المتعفنة فأنهم يتركون كل شيء ويذهبون لأشباعها!!

قال حمه بجدية:

-ولهذا يتمكن المرء أن يتعرف على جديتهم ومصداقيتهم ومبادئهم ان هؤلاء الناس ليست لهم اية مبادئ او اخلاق سوى العمالة والكسب الرخيص بتلك الطريقة الدنيئة.

ردت شمسه على ولدها بتوسل وقالت:

-مادمت مطمئناً من عدم معرفة احدهم دارنا لذلك اتمنى ان يمكث لدينا عزيزي حمه ليلتين أخريين.

اجابها عزيز قائلاً:

-انا ايضاً لي نفس الفكرة ثم وجه الكلام لأخيه وقال بأمكانك ان تمكث هنا يومين او ثلاثة ايام بسهولة ولا خطر عليك من ذلك.

فرد حمه:

–ان الأمر بيد الأخوان وليس لدينا فيه رأي أو خيار فأن جاءوا الآن ليأخذونني فلا يمكنني الا الذهاب معهم لأنك كما تعرفهم ايضاً يتحملون مشقة واخطاراً كبيرة في الذهاب والأياب.

غير ان شمسه كان يسعدها أن يبقى ولدها بجانبها مدى الدهر والزمان وكانت تفضل ايضاً أن تفارقها كل مباهج الدنيا ولايفارقها ابنها ليوم واحد، ومع ذلك فأنها قالت وهي لاتخفي المها:

–أتمنى من الله حلال كل المشاكل، ان يحمي الجميع من كل مكروه.

ان امنية شمسه لم تتحقق لأن ابنها قد يغادرهم في الليل بعد ان جاء رفاقه ليأخذوه الى بيت أحد الأصدقاء المخلصين للحركة الوطنية والذي كان يعمل في الخفاء، كان شاباً رزيناً يعمل بهدوء وتعقل ويتعامل في السوق بمنتهى الأمانة والأخلاص لذلك كان يحترمه حتى اعداؤه.

كان بيته في إحدى الضواحي النائية لمدينة السليمانية وكان قد بني في تلك المنطقة التي كان بدأ الناس يهتدون اليها يبنون فيها بيوتاً متواضعة كل حسب ظروفه المادية لرخص ثمن الأرض هناك لذلك فأن دار (كاكه غفور) كانت لاتزال غير مكتملة وبحاجة الى التعمير ولكنه أتى وسكن فيها مع عائلته المؤلفة من زوجة وولدين في سن العاشرة والسابعة من العمر وكان يفضل هو

وعائلته السكن في هذا البيت غير المكتمل على أن يعيشوا في غرفتين مع عوائل أخرى وخاصة أن ولديهما قد كبرا وكانا يحدثان لهما مشاكل مع أولاد باقي المستأجرين الذين يقاسمونهم نفس الدار.

كانت زوجة كاكه غفور شابة نشيطة يشرق وجهها بأبتسامة رقيقة يود كل من يجلس اليها أن لايفارقها أبداً لعذوبة حديثها وبراعتها في سرد النكات والأحداث الطريفة وكانت على جانب كبير من الخلق العائلي لذلك فقد ارتاح حمه في ذلك البيت مع تلك العائلة المرحة وشعر بقدر كبير من الحرية والأمان وساعة ان يرخي الليل سدوله يبادر بالخروج الى صحن الدار الذي أبقي كساحة كبيرة غير منتظمة بأمل أن يجعلوا منها في المستقبل حديقة كبيرة جميلة كان حمه يخرج اليها في الأمسيات ويتمشى ذهاباً وأياباً مطمئن البال وخاصة لأن البيوت كانت متباعدة عن بعضها البعض ومتناثرة هنا وهناك واصحابها يعيشون فيها بحرية تامة.

أصبح اسم حمه في ذلك البيت (كاكه زائر) حيث كانت أسماؤه تتغير بأستمرار مع تغير مساكنه. كان طفلا كاكه غفور قد تعودا زيارة أشخاص مثل حمه لدارهم بين الحين والحين وكانا شديدي الحرص على كتم تلك الزيارات وعدم ذكرها لأحد وذلك لأن والدتهما قد نبهتهما منذ الصغر وعودتهما على تلك المزية ولذلك فان حمه كان مطمئناً من تلك الناحية أيضاً.

مر اسبوعان على مكوث حمه في ذلك البيت وهو هادئ البال يكتب الأفتتاحيات لجريدتهم السرية ويكتب البيانات ويقرأ الرسائل والتعليمات الحزبية، بأمان ودون خوف وذات مساء سمع طرقاً على الباب وكان كاكه غفور غائباً في تلك الساعة ولهذا هرعت زوجته (زيرين) لترى من الطارق فاذا بها تمد ذراعيها وتحتضن الطارق في لهفة وتقول:

–ابي العزيز والدتي الحبيبة من أين جئتم ومتى وصلتم؟

واخذت تقبلهم بشوق باكية من شدة فرحتها لمجئ والديها اللذين لم ترهما منذ سنة واكثر وهما من أهالي شقلاوه ويسكنان هناك.

تقدمت زيرين ابويها الى الداخل بعد ان دفعوا اجرة الحوذي الذي اقلهم من الكراج الى هناك وحمل الأكياس الثلاثة المحتوية على الأمتعة والهدايا كانت زيرين تحضن والدتها وتعبر عن مدى شوقها اليها وذلك بينما كانتا في طريقهما لتخطي صحن الدار الكبيرة الواسعة وفجأة تذكرت زيرين ضيفهم القابع في الدار وعلى الرغم من شوقها الكبير لوالدتها وبالرغم من شدة حبها لوالديها فقد أصابها الذهول لدى تذكرها امر ضيفهم وانتابها شيء من الحزن الخفي وقالت في نفسها:

–وماذا عن ذلك المسكين؟ ماذا اقول لهما لو رأياه، يالسخرية الأقدار ويا لسوء حظ هذا الشاب المكافح.

ومع أني مطمئنة لأخلاق والديَّ وقلبهم الكبير النابض بالطيبة والحنان وخاصة لشاب مناضل مثل ضيفنا ولكن مع هذا فسيكون موقفنا وموقفه صعباً بسبب الأهل والأقرباء والمعارف عند سماعهم بمجيئهم وخاصة أخي وعائلته ومع ذلك القلق والحيرة. كانت زيرين فرحة جداً بقدوم والديها وانتظرت بفارغ الصبر عودة زوجها الى البيت كي يتسنى لها ان تتشاور معه في أمره لعلهما يجدان حلاً لهذه المشكلة.

اما حمه فكان في الغرفة الثانية وقد شاهد مجئ والدي زيرين ولو انه لم يعرفهما اذ لم يكن قد شاهدهما من قبل ولكنه عرف ان الزائرين من الأشخاص المحبين والقريبين جداً الى قلب صاحبة الدار ومع ذلك احس بشيء من الحيرة والأرتباك وداهمت مخيلته انواع شتى من الهواجس:

–ياترى من هؤلاء الزوار ؟ هل سيمكثان هنا ام جاءا فقط لزيارة قصيرة وكم ساعة أو كم ليلة تطول؟ ان متاعهما وحقائبهما الكبيرة تدل على انهما سيمكثان لأمد طويل وسأضطر انا ثانية لمغادرة هذا المكان أيضاً ومن يدري هل سيتمكن الرفاق من ايجاد مكان آخر لي بهذه السرعة.

لقد كان هذا البيت أهدأ من كل الأمكنة الأخرى التي مكثت فيها فهنا أتمكن من التركيز والكتابة بسهولة وما عسى أن أفعل، وما ذنب أصحاب الدار هل من الواجب أن يمنعوا أهلهم من التردد عليهم. وقد صدق الشاعر الذي قال:

"تأتي الرياح بما لاتشتهي السفن"

وهكذا وقع حمه في دوامة من الأفكار والهواجس المقلقة وجلس ينتظر رجوع كاكه غفور بفارغ الصبر.

بعد قرابة ساعة من الزمن عاد كاكه غفور الى البيت، فتلقاه ولداه في فرح وهما يزفان اليه بشرى وصول جدهم وجدتهم الا ان الخبر قد عكر صفو غفور وبدأ يتلعثم وذلك بسبب ماسيكون من طبعهم ولكنه سرعان ماهرع نحو حماه وحماته وقد فتح ذراعيه لمعانقتهما معبراً بذلك عن حبه الحقيقي واحترامه لهما.

اخذ مقعده الى جنبهما لفترة من الزمن ثم نهض واقفاً واتجه الى المطبخ حيث كانت زوجته زيرين منهمكة في تهيئة الشاي والعشاء.

اقترب غفور من زوجته وقال بهمس:

–ماذا سنفعل بضيفنا المسكين ياترى هل من حل؟

ضربت زيرين كفا بكف وقالت:

–لاتسألني كم انا قلقة، فوالله عندما تذكرت ذلك الأخ القابع في الغرفة ليل نهار كالسجين خمدت الفرحة وجفت الأبتسامة فوق شفتيَّ وانت تعرف كم كنت مشتاقة لرؤية والدي والآن ما العمل وكيف نتصرف ومع ذلك فأنهما والدي ووالدتي وانت تعرف أخلاقهما جيداً وانهما لو عرفا بهذا السر فسيكون حرصهما على الكتمان أكثر مني ومنك.

رد غفور على زوجته بحرارة قائلاً:

-انا متأكد وواثق منهما كل الثقة ولكني أرى انه من الأحسن لهما وله أيضاً أن لايعرفا الحقيقة.

قالت زيرين بشرود وقلق:

-ماهو الحل اذن؟ المشكلة ليست ثقتنا بهم، ولكن المشكلة الزوار والضيوف وخاصة أخي وعائلته.

مرت فترة صمت بين الزوجين وكأنهما كانا يفكر ان كل بدوره وفجأة اقترب غفور من زوجته وهمس قائلاً:

-ماذا لو قلنا لوالديك بأن هذا الشخص قريب والدي أو والدتي وقد جاء به أهله من جمجمال لعرضه على الأطباء هنا وانه مصاب بمرض نفسي، وهو الآن تحت العلاج وقد تحسنت حالته ولكن يجب الاّ يعكر أحد هدوء غرفته لذا فقد منعنا حتى أولادنا من الذهاب اليه لتفادي ازعاجه شهقت زيرين وضربت صدرها بكفها وقالت وهي تمسح دموعاً كانت قد انهمرت على خديها بسبب تقطيعها البصل لتهيئة العشاء.

-قصدك اننا نخبرهم بأنه ليس على مايرام عقلياً وما ينقص المسكين الا ان نصفه بالجنون.

خفضت زيرين صوتها وقالت لزوجها:

-لا لا وفقك الله وهداك، في رأي ان هذا ليس حلاً مستحباً أبداً

فابتسم كاكه غفور وكأنه يداري ضحكة من أعماقه:

-ماذا تقولين وماذا يهم حتى لو سألنا حمه الآن فأنه سيوافقنا ان قول عنه انه قريب من الجنون بشرط ان يتركوه في حاله ولا يضايقه احد فيضطر الى الأنتقال مرة اخرى الى مكان آخر.

فكرت زيرين لحظات وبعدها قالت بحزن-وماذا سنفعل؟

اظن ان فكرتك لاضرر فيها وكما يقولون انه اهون الشرين بعد هذا التدبير عاد كاكه غفور الى حماته وحماه وحياهما مرة اخرى بحرارة وجلس معهما واخذ يسألهما عن احوالهما واحوال اقربائهما واحوال مدينتهما ولماذا لم يخبراه بمجيئهما مسبقاً لأنه لو علم بذلك لكان في انتظارهما في كراج المسافرين واخذ غفور يتكلم بأندفاع مملوء بالمحبة مما اضاف الى الجلسة الكثير من الدفء والصميمية.

نهضت والدة زيرين واقفة وقالت:

-اين زيرين؟ لأذهب لمساعدتها فديتك بروحي يا ابنتي العزيزة انها حتماً منهمكة في المطبخ وسترهق نفسها من اجلنا.

هب كاكه غفور مندفعاً نحوها:

-لا ياعمتي العزيزة انك تعبت بسبب السفر ارجو ان تجلسي وترتاحي انها على وشك ان تنتهي من كل شيء وها انا ذاهب لمساعدتها. اجلسي وارتاحي بالله عليك.

شمرت ام زيرين اكمام فستانها الكردي الطويل قائلة:

-حسناً اذن يجب ان اذهب، واحتضنت حفيدها وقبلته قائلة:

-هيا ياحبيبي ارني الحمام.

فرد كاكه غفور بارتباك هو يوجه الكلام لولديه اذهبا أحبائي الى والدتكما فأنها تناديكما.

تعجبت ام زيرين من ذلك واحتارت من تصرفه غير انها سرعان مازالت حيرتها عندما ادنى غفور راسه من راسها وهو يهمس بصوت خافت جداً:

-عمي وعمتي الأعزاء ابعدت الأولاد لأني اريد أن أوضح لكما شيئاً ولا أريد الصغار ان يسمعوا اي شيء عنه ثم اخذ وجهه طابعاً جدياً وهو يواصل كلامه:

-ان في دارنا أحد اقرباء والدي وهو شاب مهذب خريج جامعة على اخلاق عالية ولكنه للأسف اصيب بمرض عصبي وقد أتى به اهله ليعرضوه على الأطباء هنا وهو الآن تحت العلاج وانه لله الحمد قد استعاد الشيء الكثير من صحته وعلينا ان نراعي شعوره فهو لايحب الأختلاط بأحد وان وحدته هي جزء من اسلوب معالجته اذ علينا ايضاً ان نوفر جواً هادئاً وبعيداً عن الضوضاء والأزعاج.. تأسف والد زيرين وضرب كفا بأخرى وقال:

-لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم. يارب ارحمه ووفّر له الشفاء العاجل انك شافي كل الأمراض يارب. واخذ يضغط على حبات سبحته ويتمتم بالدعاء له أمام أم زيرين التي مسحت بكم ثوبها دمعة سالت من عينها ثم لطمت صدرها بكفها:

-لتفديه أمه. ان قلبي تمزق له، وما سبب مرضه؟ الم يقل الأطباء شيئاً عن ذلك؟ وبعد صمت قصير عادت الى حديثها:

-حتماً قد احب فتاة ولم تكن من نصيبه وهذا ما ادى الى وقوعه في هذا المرض لقد حدث في شقلاوه قبل شهور شيء مماثل، اذ اصيب احد الفتيان بالجنون لأن الفتاة التي كان يحبها وتحبه، قد زوجها اهلها لشخص آخر غني جداً وفي عمر والدها. ولهذا جن جنون الفتى وحاول الأعتداء بالضرب على والد حبيبته وعلى العريس أيضاً ولحد الآن يعيش مكبلاً بالسلاسل لأنه اصبح خطراً على الناس.

مسحت ام زيرين دمعة اخرى وقالت:

-ليشفيه الله لأذهب واصلي وادعو له بالسلامة.

عقب غفور على كلامها:

-عمتي العزيزة ارجو أن لايعرف أحد من الزوار او الأقارب بذلك. لأنكم تعرفون أن هذا الشاب قد اصيب بالحساسية المرهقة ايضاً فان اقل حركة او نظرة اليه يعتبرها اهانة لكرامته المجروحة شهقت ام زيرين وقالت:

-ماذا تقول يابني ليصبني الخرس ان تحدثت عنه لأي مخلوق كيف يطاوعني قلبي لكي استخفّ بمرض هذا الشاب أو اجعل من مرضه حديثاً للتسلية. اما والد زيرين فأنه كان ومازال منهمكاً في قراءة الآية المصاحبة لحركة اصبعه على حبات مسبحته، وقد عرف عنه أنه رجل متدين وفي غاية الطيبة، لحد السذاجة كما يقول عنه بعض الناس.

انتهز كاكه غفور فرصة ذهاب حماته الى الحمام وانشغال حماه بالأدعية والصلوات فاندفع مسرعاً الى غرفة حمه حيث كان جالساً في أحد أركان الغرفة في هدوء وذهول كما لو انه يفكر عميقاً بمشكلة ما.

نهض واقفاً عندما رأى غفور يدخل الغرفة ورحب به مبتسماً:

-أهلاً بك، يظهر ان ثمة ضيوفاً قد وفدوا اليكم اليس كذلك؟

فأومأ كاكه غفور براسه بأشارة نعم صحيح. اقترب من حمه وامسك يده وقال بشوق وحرارة:

-كل شيء على مايرام فلا تقلق وستبقى في مكانك دون اية مضايقة من أي كان.

اتسعت ابتسامة حمه وهو يتساءل بحيرة:

-ولكن كيف؟ وماذا فعلت؟

قهقه غفور محاولاً ان لاتُسمع ضحكته خارج الغرفة وقد تدفقت الدموع من عينيه من شدة الضحك:

-ان الأمر قد انتهى وان حماتي مازالت تبكي بحرقة من أجلك أما زوجها فهو غارق في تلاوة الآيات والأدعية من أجلك.

-لماذا وهل اخبرتهما بالحقيقة؟

حكى له كاكه غفور القصة واخبره بقول والدة زيرين -حتماً انه قد احب فتاة ولم تصبح من نصيبه، تبادلا الضحك من قلبيهما وراح حمه يضرب كفا بكف وغفور يواصل الضحك.

في أحدى الأمسيات عاد عزيز الى البيت بصحبة احد أصدقائه وبعد لحظات ترك صديقه في غرفة الجلوس، وتوجه الى المطبخ حيث كانت والدته مع تريفه تقومان بأعداد طعام العشاء.

سلم عزيز على والدته وزوجته وقال مازحاً:

-انا واحد اصدقائي جياع هل نجد لديكما شيئاً يؤكل؟

ردت والدته بوجه مشرق:

-الحمد لله الخير كثير، لحظة وستكون المائدة جاهزة.

وراح يتطلع بأعجاب لزوجته المملوءة بالحيوية والشباب، وبدت له في غاية الجمال وهي منهمكة بوضع قطع الفحم في سماور الشاي حيث كانت يداها الرقيقتان قد تلوثتا بالفحم وقد أضفى الجو وحرارة النار والموقد إشراقة محببة اكثر الى وجنتيها ثم قال وهو لايزال يختلس النظرات الى زوجته الفاتنة كنت سأقول لكما شيئاً يفرحكما ولكن نسيته.

هبت تريفه ضاحكة وهي تحاول ابعاد خصلات شعرها الحريري عن وجهها الجذاب تساءلت بأبتسامة عذبة:

-يارب، اتقول شيئاً يفرحنا؟ ما هذا اليوم العظيم ومن أين يتدفق علينا هذا الهناء؟

ثم ضحكت وأضافت:

-والله لقد كدت أنسى ان في هذه الدنيا حوادث وأشياء يفرح لها الناس ان كل أيامنا قلق في قلق وأنتظار في أنتظار وخوف من المجهول الذي يحاصر كل حياتنا.

ضمها الى صدره:

-لاتكوني متشائمة تعلمي الصبر والقناعة وكوني مناضلة حقيقية.

ثم دنا عزيز من والدته ايضاً وأحاطها بذراعه وخاطب تريفه قائلاً:

-كوني بطلة مثل عمتك.

فردت عليه تريفه مبتسمة:

-لو حاولت عشرات السنين لما تمكنت أن أصل الى قطرة من بحور مثالية عمتي العزيزة فكيف تريد أن تشبهني بها ثم أردفت قائلة بحرارة ولهفة:

لقد نسينا أصل الحديث أخبرنا بدون تأخير عن الخبر المفرح اخبرنا بالله عليك، وبصوت على جانب كبير من الخفوت قال:

-سنذهب بعد غد الى نزهة او سفرة صغيرة مع بعض الأخوان وعائلاتهم الى (ازمر) وسنمكث عدة ليال في أحد مصائفه الخلابة. قال عزيز هذا بسرعة وعاد الى صديقه الذي تركه بعد ذهاب عزيز نظرت تريفه الى عمتها وقالت بفتور وشيء من الخوف:

-عمتي انا اعرف مغزى هذه السفرة والنزهة التي حدثنا عنها عزيز انني خائفة، بالله عليك يا عمتي ارفضي ذلك الطلب ولاتتركينه يذهب هو ايضاً. انها كما تعلمين ليست نزهة ولا سفرة عادية بل ستكون كالمرة السابقة عندما قالوا لنذهب للنزهة وللسفر طلباً الراحة والأستجمام لعدة ايام وانقلبت النزهة

والسياحة الى مؤتمر حزبي عقدوه هناك وكانوا يعتقدون بأنهم قد ذهبوا الى هناك بمؤتمرهم ليخفوه عن انظار الحكومة لم يمر شهر الا وعرفت الحكومة والقت القبض على كثيرين من المشتركين فيه.

ونهضت تريفه خائفة وهي تردد:

-بالله عليك ياعمتي ارفضي ذلك انني خائفة جداً.

نظرت شمسه الى ابنة اخيها وكنتها في نفس الوقت وقالت مبتسمة-لاتخافي ياعزيزتي، اننا بحاجة للذهاب الى مثل هذه السفرات للترفيه عن انفسنا قليلاًولتغيير الجو وأما الخوف من الحكومة فكوني مطمئنة حيث ان عزيز واخوانه يعرفون الأمكنة الجيدة والمناسبة التي لايمكن للشرطة وأفراد الأمن أن يعلموا بها، عزيزتي ان الله عز وجل قد وهبنا جبالاً شماء وسهولاً بديعة التكوين وكثيفة الأشجار والخمائل وان وعورة الطرق في بعض أماكنها لايستطيع الوصول اليها الا الماعز والغزلان فكيف تقولين انك خائفة؟

اجابت تريفه وهي مازالت قلقة:

-ولكن لماذا في المرة السابقة عرفت الحكومة بالأمر والقت القبض على الكثيرين بتهمة مشاركتهم في المؤتمر.

ضحكت شمسه:

-انت مازلت تجهلين اساليب الحكومة فانهم لو ارادوا ان يلقوا القبض على احد الوطنيين فانهم يخلقون له انواع التهم والأسباب وبلا حساب ولهذا ففي المرة السابقة عندما تم القبض على اولئك

المناضلين كانوا خلقوا لهم تلك الحجة والا لماذا تركوهم تلك المرة دون أن يلقى القبض عليهم ولو كان ذلك صحيحاً فلماذا لم يذكروا اسم المنطقة التي عقد فيها المؤتمر ولماذا لم يلقوا القبض عليهم في حينه. المسألة كانت تهمة ملفقة ليس الا. فلا تهتمي وبعد معرفة تفاصيل سفرتنا سنستعد للذهاب ولاتنسى ان (الحشر مع الجماعة عيد) كما يقول المثل.

اكملت شمسه كلامها وبدت على شفتيها ابتسامة لاتخلو من شيء من الحزن ثم أضافت:

-اتمنى ان يأتي حمه معهم لأتمتع برؤيته فأنني مشتاقة اليه كثيراً ثم خفت صوتها كما لو كانت تتحدث الى نفسها وقالت"ياحبيبي يا ابني كم انا مشتاقة لرؤيتك" فقالت تريفه لعمتها بحنان وكأنها ادركت أحاسيسها في تلك اللحظة:

-انشاء الله وحتماً سيكون معهم وانا متأكدة من ذلك وخاصة اذا كانت المسألة هي انعقاد مؤتمر اذ كما تعلمين ان كاكه حمه هو الشخص المرموق وله الصدارة في كل المؤتمرات فأطمئني.

بعد عدة أيام من المشاورة وتبادل المذكرات والرسائل هيأ عزيز وأصحابه أنفسهم مع بعض من عوائلهم للذهاب الى المكان المنتخب بهدوء وبدون صخب حرصاً على سرية العمل وفي اليوم المقرر استيقظت شمسه من النوم مبكرة جداً وبدأت بأيقاظ ابنها وكنتها وابن أخيها خوله. ووقف باص صغير ازاء باب دارهم حيث وكان السائق أحد معارفهم المخلصين والمنضوين في الحزب أيضاً.

نقل خوله مع السائق (كاكه عبدالرحمن) الأمتعة مع الأفرشة والأغطية الى الباص. وجاءت شمسه تتقدم ابنها عزيز وزوجته تريفه بوجهها الناعس مع طفلها آسو الذي كان لايزال نائماً بين ذراعيها.

المدينة هادئة وجميع الناس فيها يغطون في نومهم وهدير الفرن القريب من بيتهم يطرق مسامعهم ورائحة الخبز المحمص بدأت تفوح مما يفتح الشهية وكان يسمع بين حين وآخر خشخشة مكانس عمال البلدية المنهمكين في تنظيف الأزقة والشوارع. وفي الطريق المؤدي الى أزمر أخذ الباص يصعد المرتفعات ويغيب في المنعطفات وعند خروج الباص من أحد المنعطفات الجبلية الكثيرة الصخور اشرقت الشمس بقرصها الذهبي الأخاذ لتنشر انوارها ولتعيد الدفء والحرارة والحياة لتلك السهول والهضاب والوديان الجميلة.

كان منظر مدينة السليمانية الباسلة رائعاً في تلك الساعة وهم يشاهدونها من سفوح اعالي تلك الجبال التي كانت سيارتهم تقطعها عبر طرق شديدة الألتواءات بعد ساعة أو أكثر توقفت السيارة عند قارعة احدى الطرق المبلطة وبجانب واد تزينه أشجار البلوط والزهور والحشائش البرية الجميلة وصخور كبيرة عملاقة تناثرت هنا وهناك. ومن سفوح بعض الجبال القريبة كانت تتهادى خطوط مياه الشلالات الرفيعة مكونة بهطولها خريراً شجياً وكثيراً ما كان يغري السابلة بالهروع اليها لشرب الماء العذب منها

أو الأغتسال بها. نزل عزيز وباقي الجماعة وانـزل خوله والسائق الأمتعة وبعد ان استأذن كاكه عبدالرحمن السائق وذهب عائداً الى المدينة بدأت العائلة بتقسيم الأمتعة بينهم ليحملوها ويصعدوا بها الجبل نظرت تريفه الى ذلك الجبل الشاهق وقالت في نفسها يا الهـي من اين لي أن اتسلق هذا الجبل الهائل وأنا أحمل طفلـي ومطَّتْ شَفَتيها خلسة وهي تقول لنفسها مرة اخرى:

–لنر كيف سيمكنهم حمل كل هذه الأمتعة وهم يتسلقون الجبل ان الأنسان في صعوده لوحده وبـدون اي حمـل سـتنقطع انفاسـه ناهيك عن حمل كل هذه الأمتعة الثقيلة.

بدأت العائلة بالصعود وكل حامل حمله والبعض قد وضعـه فوق ظهره. وبعد عشر دقائق صاحت تريفه وهي تكاد تبكي:

–صبراً يا جماعة انني لاأتمكـن مـن اللحـاق بكـم وسـأبقى في مكاني لقد نفدت طاقتي.

زفر عزيـز زفـرة طويلة والتفت خلفه ليرى تريفـه مـا زالـت في أسفل الجبل. وكان هو وخوله قد قطعا شـوطاً لابأس بـه. وشمسـه في الوسط حيث كانت قد سبقت تريفه ولكنها لم تتمكن من اللحاق بأبنها وخوله.

قال عزيز بصوت مرتفع وهو يمسح العرق بمنديله عن وجهه:

–يا والدتـي ما هـذه الأشياء الثقيلة وماذا يوجد داخـل هـذا الكيس انه ثقيل جداً ليحفظك الله ياوالدتي ما كل هذه الأثقال، أما والدته المنهوكة القوي والتي كان وجهها ينضح بالعرق الغزير فقد

وقفت لبرهة لتستريح وبعد عدة سعلات قصيرة تنفست الصعداء وأجابت ابنها:

-وماذا تتوقع يا ابني اننا عائلة وحمه الحبيب سيكون هناك وكما تعرف اننا سنمكث عدة أيام في ذلك المكان النائي والمقفر حيث لاسوق ولا قرى قريبة، فماذا عسانا نفعل طوال هذه الأيام في تلك الأثناء التفت خوله الى عزيز ورفع صوته وهو يترنح تحت حمله وقال:

-كاكه عزيز كم بقى لنا لكي نصل الى المكان المقصود؟

ضحك عزيز حتى دمعت عيناه:

-بهذه السرعة تعبت؟ تسأل عن المسافة؟ على أقل تقدير يجب ان نمشي اكثر من ساعة اخرى.

صرخت تريفه من مكانها:

-يافرحتنا بهذه السفرة الميمونة. ان هذه رحلة شقاء وعذاب وليس كما تدعون بأنها نزهة للراحة والأستجمام. جلست تريفه في مكانها وهي تحتضن طفلها وقالت:

-اذهبوا انتم لترافقكم السلامة. أما انا فسأبقى هنا لتأكلني الذئاب.

وضع عزيز حمله على الأرض وانحدر نحوها وهو يقفز وينظر بسرعة رغم الأرهاق والتعب اللذين كان يحس بهما وما كاد يصل اليهما حتى حمل ابنه وأمسك بيد تريفه وراح يجرها جراً وهو

يمازحها ليقوي عزيمتها ولكن تريفه كانت عصبية المزاج وغير سعيدة بهذه النزهة المرهقة.

رغم كل المصاعب والولولة وفترات الأستراحة القصيرة وصلت الجماعة الى قمة الجبل. وعندها جلسوا ليرتاحوا تحت شجرة جوز وافرة الأغصان تتدفق من تحت الصخور احدى عيون الماء الباردة الصافية العذبة كانت مياه تلك العين تجري في ساقية طويلة تنحدر بهدوء الى الطرف الآخر من الجبل وكان الفيء مع الساقية قد حولتا تلك البقعة من قمة الجبل الى مرتع يسر القلوب وينعش الأفئدة بتلك المناظر البديعة وروائح عطور أوراق الأشجار والنباتات البرية المتنوعة التي يحملها النسيم ويمزجها مع بعضها مضيفاً على ذلك المكان روعة ما بعدها روعة.

بعد الأستراحة نهض عزيز واقفاً وهو يشير بيده للطرف الآخر من الجبل وقال مشجعاً:

-اننا قد قطعنا الكثير ولم يبق لنا الا أن ننحدر الى هذا الطرف، وعند منتصفه سأنادي الأخوان لأنهم سيكونون قريبين منّا وسيسمعون صوتي ويأتون لمساعدتنا.

قالت شمسه:

-ياليت لو كان كاكه عبدالرحمن يرافقنا الآن اذن لساعدنا في حمل هذه الأشياء.

رد عزيز عليها:

-وعندها ماذا كنا سنصنع بسيارة الباص الواقفة على قارعة الطريق حتماً كان المارة يعرفون بأن أصحابها قد ذهبوا الى الأمكنة القريبة منها وخاصة ان الشرطة تعرف رقمها وتعرف من هو صاحبها أيضاً كما تعلمين ان كاكه عبدالرحمن معروف لديهم وهم يطاردونه في كل مناسبة.

نهضت شمسه ببطء وراحت تمرر يدها على ساقها وتقول:

-ان ما تقوله صحيح وأعلم ذلك ولكن ماذا افعل؟ كان يجب أن يرافقنا احد اقربائنا، كما تقول ان حملنا كثير وأفرادنا قليلون وليس بمقدور ثلاثة اشخاص حملها.

رد عزيز:

-لقد قطعنا الكثير ولم يبق أمامنا الاّ القليل سترتاحون وسيعجبكم ذلك المكان كثيراً جداً ثم ابتسم مكملاً:

-لقد انتهينا من المشقة واننا سنأخذ بالأنحدار وهذا أسهل بكثير من التسلق.

زفرت تريفه وهي تعد طفلها لحمله وهبت واقفة استعداداً للرحيل وقالت:

-الطريق الآن منحدر وسهل. شيء عظيم ولكن ماذا عن التدحرج فلو زلت قدم أحدنا او فقد السيطرة على توازنه ماذا سيحدث لماذا لاتقول لنا ذلك؟!

ضحك خوله بصوت مرتفع وهو يحاول اعداد حمله ليضعه على ظهره وأجاب:

-عند ذلك سيرى ذلك الذي زلت قدمه نفسه في أسفل الجبل متمرغاً بالأتربة، وقد خدشت الأشواك وجهه وكسرت الشجرة والأغصان التي اصطدم بها يده أو رجله أو الأثنين معاً.

انتفضت شمسه بهلع ودقت بيدها على صدرها وقالت:

-لاسمح الله قل (سلام من رب رحيم) ما هذا الكلام؟ وما هذه التوقعات المشؤومة احسبكم قد جئتم من الصحارى ولستم من ابناء هذه الجبال وانكم ترونها وتتخطوها لأول مرة في حياتكم.

قال عزيز ضاحكاً وهو يغمز بعينه لوالدته ومشيراً الى تريفه:

-يا والدتي ان عين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبري المعايبا، ان (البعض) قد اصابهم الكسل في هذه الأيام أو في هذه المرة اما في المرات السابقة فقد كنا نراهم يسبقون الكل كالغزلان الشاردة. واخيراً وبعد عناء وصلت الجماعة الى مقربة من المكان المقصود وقد هرع اصدقاؤهم لنجدتهم خاصة حمه الذي كان قد سبقهم اليه مع زيرين وكاكه غفور وأولادهم. وبعد استراحة هبت شمسه وتريفه وشمرتا عن ساعديهما وبداتا بفك الأمتعة وخلطها بأمتعة بقية العوائل التي كانت قد وصلت قبلهم بيوم أو يومين وكانوا قد افترشوا تحت ظل احدى شجرات البلوط الهرمة ذات الجذع الصلد القوي وقريبا من الشجرة كانت نساء تلك العوائل منهمكات في اعداد الطعام و قد صنعن مواقد من قطع متناثرة هنا و هناك اوقدن النيران بأغصان و جذور الخشب المتشربكة وهناك بعضهن كن قد انهمكن بعمل خبز الرقاق اللذيذ

و كن قد تحولن نحو ساقية الماء القريبة من مكان جلوسهن تحت شجرة البلوط و ذلك الحوض الذي انشئ من قبل اهل القرى القريبة من تلك المنطقة حيث كانوا قد حولوا مياه تلك العين الى ما يشبه الحوض ورصوا حوله احجارا صخرية في تناسق لأستخدامها ليرتاح عليها المارة وحيث تكون تلك العين وذلك الحوض بمثابة مكان للراحة والأغتسال والوضوء وكانت المياه الفائضة في ذلك الحوض تتهادى في ساحة جميلة في رفق لتروي كل نبته وكل شيء تصادفه في طريقها وكان الرجال ايضاً قد افترشوا لهم مكاناً تحت عدة اشجار قريبة من بعضها البعض وكان مكانهم لايبعد عن مكان النساء وصخب الأطفال سوى عدة امتار.

وكانت العوائل قد رصت حول الحوض والساحة ووضعوا في ذلك الماء البارد كميات من سلال الفواكه المنوعة وقدور اللبن الرائب وقناني المشروبات الكحولية وغير الكحولية وذلك لتفادي فضول المارة في ذلك المكان واقناعهم بأن الجماعة هم اهل سمر وشرب ومرح لاغير ومع ان المكان كان منعزلاً ولم يكن ليمر به طوال اليوم غير شخص واحد أو شخصين بسبب كونه بعيداً عن الطريق العام وعن القرى والأماكن المسكونة في المنطقة ولكنهم من باب الحيطة كانوا قد رصوا زجاجات المشروبات المتنوعة لمجرد التمويه والتضليل مع أنهم لم يمسوها طيلة مكوثهم في ذلك المكان فسفرتهم لغاية سياسية بل انها لأشبه بأجتماع مصغر

للحزب الـذي كـان يعمـل في الخفـاء مـع بعـض الأحـزاب العراقيـة الأخرى في ذلك العهد.

عند المساء وبعد الأنتهاء من الطبخ والأكل وغسل الصحون وكنس وتنظيف المكـان المخصص للنسـاء وأطفـالهن. جلسـت النساء يتسامرن وتحكي كـل منهن لصاحبتها عن مشاكل الأولاد والبيـت والسـوق والأقمشـة الجديـدة والملابـس وغـير ذلـك وقـد إختلطت الضحكات مع تكسير الجرزات ورشفات الشـاي اللذيـذ الـذي كـانت توزعـه علـى الحـاضرات صبيتـان جميلتـان في عمـر الزهور، كانتا من ضمن أولاد تلك العوائل فيما كان السماور الكبير يغلي كالعادة ويتصدر المجلس بزهو يبعث انغاماً ووصوصـة في تعال وكأنه يعرف مكانته وقيمته في قلوب الجالسات حوله!

الصغار تعبوا من اللعب والنط هنا وهنـاك طيلة النهار في ذلك المصيف الرائع، ولهذا السبب فقد نال من بعضهم النعاس فنـاموا وكان هناك مـن يتثـاءب وعينـاه نصف مغمضتين ليوحي لوالدتـه بأنه نعسان ويريد أن ينام.

كانت ليلة مقمرة وكان عزيز ورفاقه قد اختاروا تلـك الفترة مـن الشهر ليكونـوا غير مضطريـن لتهيئة المصابيح والفوانيس الـتي تجلب الأنتباه اليهم.

ولهذا كان القمر ساطعاً وقد غمر تلك الجبال والسهول والوديان بنـوره الفضـي السـاحر ووهبـها السـكون والهـدوء والطمأنينـة. وأضـاف علـى جـو الجلسـة ونفـوس الحـاضرين والحـاضرات

أحاسيس مختلطة من النشوة والأنشراح والانحناء. الإنحناء والتقديس لعظمة الخالق الذي وهب الناس كل هذه النعم.

كانت بين الجالسات اختان قد تزوجتا من شقيقين الأخت الكبرى لها ابنة واحدة في السابعة من عمرها والثانية لها ولدان أكبرهما في الرابعة من العمر.

كانت حماة الشقيقين من معارف شمسه المقربات ولأن جميع تلك العوائل أصحاب ومعارف وشركاء في السراء والضراء لهذا كانت جلساتهم حميمة ومع كل ذلك كانت في بعض الأحيان لاتخلو من القيل والقال والحسد والنميمة كل على الأخر ولهذا عندما كانت شمسه منهمكة في شرب الشاي وتبادل التحيات والأشواق مع زيرين مضيفة ابنها وتشكرها بهمس على تحمل عبء اخفاء ابنها في بيتهم وكلام من هذا القبيل فإذا (آسكول) تأتي وتجلس بجانبها وبعد تبادل التحيات انتفخت آسكول كالبالونة التي افلتت من الخيط الذي يربطها وبسرعة اخاذة راحت توشوش لشمسه وتشكو لها همومها وتلكزها بين الحين والآخر بمرفقها أو بيدها مشيرة الى كنتيها وتقول:

-آخ يا اختي ياشمسه ان جراح قلبي لن تتدمل من أعمال بنات هذه الأيام ليتك تعرفين كم أقاسي من تصرفات كناتي، الكبرى لابأس بها فهي وان كانت مهملة لأمور لبيتها، الا انها رزينة وعاقلة تحترم الكبير وتعطف على الصغير ولكن ياساتر من الصغيرة انها بحق آفة آفة يااختي.. آفة لفافة..!

تململت شمسه وارادت ان تغير مجرى الحديث خوفاً من تعكير صفو الجلسة ومزاج الحاضرات ولربما ترى احدى كنات آسكول حماتها وهي توشوش فتحدث مشكلة، ولهذا قالت شمسه لمحدثتها بمرح والأبتسامة تعلو ثغرها، لاتهتمي لهذه المسائل ان كنانتا شابات في مقتبل العمر وليست لهن تجارب في الحياة ستتعلمن الكثير مع مرور الزمن وسيصبحن احسن ربات بيوت واحسن مدبرات. ضحكت شمسه وهي تحاول تهدئة خواطر محدثتها واضافت:

-لاتنسي نحن ايضاً عندما كنا في سنهنَّ كانت حموانتا يتحدثن عنا بنفس هذا الكلام.

يجب علينا ان نحمد الله وان ندعوه دائماً ليبعد الأذى والشر عن أولادنا وان ينصرهم على أعدائهم. في تلك الأثناء وصلت لعندهن (گيلاس) الكنة الصغرى والتي كانت موضوع الوشوشة وهي تحمل صينية عليها بعض الحلويات وقالت وهي تنحني أمامهما بحرارة ومرح وأحترام:

-تفضلن..ان هذه الحلويات مصنوعة بأيد ماهرة انها لذيذة حقاً ورائحة الهيل العطرة تزيدها لذة.

اختارت شمسه قطعة بعد ان شكرتها وكذلك آسكول وعند ابتعاد الشابة لكزت آسكول بمرفقها صديقتها شمسه وقالت وهي تميل راسها يميناً وشمالاً:

-ارايت؟ الم أقل لك انها آفة. أرأيت كيف داهمتنا كالعاصفة وهي تقدم لنا الحلويات؟

ردت شمسه بأبتسامة:

-تريدين الحقيقة انها أعجبتني كثيراً بظرفها ونشاطها ولياقتها ولكن لم تمض دقائق حتى رات شمسه نفسها وهي تسمع آسكول بكل جوارحها وهي تجيبها مواسية وتضرب كفا بكف قائلة :

-كيف؟ ياساتر ليكن الله في عونك وآسكول تحدثها وتشرح لها بهمس وخلسة وتقول:

-من المستحيل ان يهدأ لها بال في يوم من الأيام وان اضطرتها بعض الظروف في البيت دون ان تخرج في الصباح الى السوق لترى الجديد وبعدها اخبار صاحباتها بذلك انها تترك اولادها في البيت معي ومع اختها الكبرى وتخرج غير مبالية بالمرة تاركة وراءها غرفة نومها وكل الأشياء فيها مبعثرة ومائدة الطعام مازالت عليها بقايا الفطور وأقداح الشاي وأولادها الأشقياء الشياطين لهم طلبات يرزح تحتها البهلوان وهناك أفواه وبطون يجب ان يُعَدَ لها الطعام وأبناء سيعودون الى البيت بعد انتهاء أعمالهم متعبين ليلتمسوا الراحة والهدوء في بيتهم وأنا الآن كما تعلمين في سن يجب ان ارتاح قليلاً منها، وان تخف عن كاهلي المشاكل وحين تزوج ولداي قلت في نفسي لله الحمد من الآن فصاعدا سأكون بمثابة ام الأربعة ولله الحمد فكما تعلمين اوضاعنا لابأس بها وبيتنا كبير يسعنا وحالتنا مرفهة.

زفرت آسكول زفرة واكملت كلامها:

-قبل ايام كانت تؤلمني قدماي بسبب الروماتيزم ولهذا ذهبت الى الفراش لأرتاح قليلاً وكان الوقت حوالي الثانية ظهراً ويبدو اني كنت قد غفوت. وفجأة انتفضت قائمة على صوت كنتي الصغرى گيلاس وهي تصرخ وتقول لزوجها:

-اذهب الى المطبخ. الأكل هناك. وما الذي ينقصك؟ اليس لك يدان؟ انني متعبة.

ابتسمت آسكول:

-حين قالت انها متعبة. أتعرفين يا اختي لماذا كانت متعبة؟ لأنها كانت قد عادت قبل قليل الى البيت بعد نزهتها الصباحية التفتيشية. وعندما سألها اين كنت يا گيلاس، ردت عليه:

-كنت عند والدتي وبعدها ذهبت لأجلب فستاني الجديد من عند (عصمت الخياطة) لأنه كان طويلاً جداً وقد أردت منها أن تقصره قليلا.

ضربت آسكول صدرها وقالت بهمس لصاحبتها:

-يا لطيف. انها تملك لساناً ينحني له الحديد. انها تذهب بالعطشان الى نهر دجلة وتعيده من هناك دون أن تذيقه قطرة من الماء كما يقول المثل.

ردت شمسه على محدثتها بحنان-لاتهتمي فكما قلت لك انها شابة وحديثة العهد ورويداً رويداً ستتأقلم مع حياتها ومسؤوليتها. ان كل انسان له طبائعه الخاصة. ان البعض لايتمكن

من المكوث في البيت ليوم واحد وترى البعض الآخر منزوياً في داره ويحب الوحدة والهدوء هذه طبائع البشر. ثم ابتسمت ولكزت هي محدثتها وقالت:

-دعي الأمور تمر ببساطة ولاتعكري صفوك بهذه الحوادث الصغيرة. ان القيل والقال وبعض المنغصات الطبيعية في العائلة تشبه البهارات تضيف على الحياة نكهة وحرارة ولذة العيش بسهولة وعلى وتيرة واحدة ودون مشاكل ستكون مملة ومقيتة وبلا طعم. فلهذا كوني متفائلة وشاكرة الله على ماقسم لكم والحمد لله له على كل حال. فجأة غمر جلسة الرجال الذين على مقربة من مكان النساء هرج ومرج بعد ان كانوا طيلة اليوم ملتفين حول بعضهم البعض ومنهمكين في قضاياهم الحزبية. وكل يبدي رأيه ويتكلم عن مهامه وعن مطاردة الشرطة والأمن وثمة من كان ينوه بأنه لحد الآن لم يدع الحكومة تشتبه به او يطارده أحد رغم كل تلك المهام الخطيرة التي يقوم بها وذلك لأنه يعمل بمهارة وتعقل وبينما هم يصولون ويجولون في أحاديثهم غمر الهرج والمرج مجلسهم وتعالت ضحكاتهم.

قالت شمسه وهي فرحة:

-منذ الصباح الباكر وهم في مناقشاتهم ومجادلاتهم السياسية التي لاتنتهي أبداً وفي كثير من الأحيان كان النقاش يصل لحد الشجار عدة مرات اردت أن اهرع اليهم لأرى ما الذي يحصل. وها هم الآن على مايبدو قد انتهوا وبدأت سهرتهم العادية.

قالت امراة اخرى من الجالسات رداً على شمسه:هكذا يبدو الأمر فهاهم بداوا بتناول الشاي والفواكه.

أجابت زوجة احدهم:

إنهم قد تعبوا ونشف ريقهم من الكلام وقراءة البيانات دعوهم يرفهون عن انفسهم قليلاً وعلقت اخرى ضاحكة:

-دعونا نسمع مالذي يقولونه ان صخبهم وضحكهم في تزايد مالذي حصل؟ تعالت ضحكات الرجال مرة اخرى وقال أحدهم وهو شاب أعزب:

-ان كان الأمر علي فأنا قد تعودت على ذلك وانها مسألة بريئة من جانبها لاغير. ولكن المشكلة هي والدتي المسكينة حيث انها منزعجة لدرجة انها قالت لي قبل أيام:

-يا ابني ما رايك لو اننا نبيع دارنا ونرحل الى حي بعيد؟ انني في عذاب من أجل هذه الفتاة البائسة انها تحبك بصدق واخلاص وماذا لو..

أكمل (وشيار) كلامه:

-ولكني لم ادعها تكمل جملتها لأنني كنت أعرف ما تقصد سلفاً.

هب أحد الحاضرين وقال مستفسرا من وشيار:

-ماهي الحكاية لماذا لاتنورنا ان أكثر الحاضرين لايعرفون عن ماذا تتحدثون؟

قال أحد أصدقاء وشيار بمرح وهو يحاول اشعال سيكارته:

–تريدون ان ينوركم؟ كاكه ان المسألة مسألة حب وغرام. قال عزيز موجهاً كلامه الى وشيار ضاحكاً:

–لاندري هل الحب من جانب واحد كما تقول، أم متبادل؟

رد حمه وهو يتصنع الجد والوقار:

–أظن أنه متبادل.

قال وشيار وهو مضطر الى هذا الرد وبسبب وابل من الأسئلة والأستفسارات التي انهالت عليه من كل جهة:

–ماذا تقولون؟ بالله العظيم انني لحد الآن لاأعرف تقاطيع وجه المسكينة بالكامل مع اننا جيران ويفصلنا جدار واحد. ومنذ الصغر وعائلاتنا تتعايشان جنباً الى جنب. وكان والدها رحمه الله رجلاً مكافحاً وشهماً بكل معنى الكلمة ولكن منذ ان شب شقيقها الأكبروأصبح يتعاون مع دائرة الأمن ويكتب التقارير عن تحركات الوطنيين اصبحت عائلتهم كلها منبوذة من الناس، ولكن ما ذنب تلك الفتاة البائسة وباقي اخوتها انهم اناس طيبون جداً وعلى خلق عال وما جريمتهم حتى يحترقوا بنار ذلك الحقير الواطئ؟

صاح أحدهم من ركن آخر:

–ان كنت لهذه الدرجة تدافع عن تلك الفتاة وعائلتها اذن فلماذا لم تتزوجها؟ اذ كما تقول ما ذنبها هي وزفر زفرة طويلة كان الرجل كبيراً في السن نسبة الى مجالسيه وكان موضع احترامهم جميعاً. ثم اردف قائلاً:

-لاادري الى متى سنبقى هكذا متخلفين مع احترامي لعاداتنا وتقاليدنا ولكن في كثير من الأحيان لمجتمعنا احكام غير عادلة بالمرة كقضية هذه الفتاة وعائلتها مثلاً.

اجابه آخر بحماس وهو يوجه الكلام الى وشيار:

-من رأيي ان لاتعير اهتكاما بكلام الناس ومادمت راضياً عن الفتاة تزوجها على بركة الله ورسوله ومبروك مقدماً.

هب وشيار ضاحكاً:

-بالنسبة لي ولأوضاعي فهذا غير ممكن لأنها مهما تكن فأن شقيقها الوغد خطر جداً.

وتابع كلامه، موجهاً اياه لعدد من رفاقه:

-قبل اسبوع عندما جئتم الى بيتنا في الليل وكنا جالسين في صحن الدار نتكلم في مسألة اخواننا المرسلين الى سجن الموصل، هرعت المسكينة تنادي والدتي وقالت لها:

-كونوا على حذر يا خالتي ان اخي فرج جالس في غرفته وقد أطفأ النور ليشرف على صحن داركم وبيده ورقة وقلم وقد كتب اسماء جميع الجالسين.

انتفض كاكه غفور زوج زيرين قائلاً:

-حقاً انها لفتاة طيبة ولكن ما الفائدة؟ لنفترض لو تزوجها وشيار فماذا ستكون النتيجة؟

قال عزيز وهو يضع يده على فمه ويتثاءب:

-النتيجة واضحة. عندها سيطل عليهم (فرجه شهل) (فرج الأعرج) صباحاً ومساءاً بحجة الأطمئنان على شقيقته ولترصد حركات وسكنات زوجها العزيز.

وغرق الجميع في ضحك متواصل. وقد شغلتهم قضية وشيار وفتاته المسكينة (خاتوزين) وبدأوا بمناقشتها وكل يبدي رأيه لأيجاد اي حل لتلك المشكلة الأنسانية المعقدة.

بعد عدة ايام من انتهاء النزهة والرحلة الجبلية وعودة العوائل الى بيوتهم. طرق باب دار شمسه ودخلت زائرتان. كانت الأولى شقيقتها والثانية ابنة عمها، جاءتا من مدينة كركوك حيث تسكنان تلقت شمسه ضيفتيها بالقبلات والأحضان وكذلك عزيز وتريفه وخوله ورحبوا جميعهم بهن أشد الترحيب. لم تنم العائلة في تلك الليلة والتفوا حول الضيفتين يتساهرون معهما ويستعيدون ذكريات الماضي ويتطرقون الى شجون الحاضر وقد دامت سهرتهم الى ساعة متأخرة جداً من الليل.

في اليوم التالي ايضاً كانت شمسه منشغلة بضيفتيها وضيوفهما من الأهل والأقارب الذين كانوا يأتون للسلام عليهما والترحيب بهما وفي الليل وبعد انصراف الزوار جلست شمسه مع ضيفتيها وخوله ورحلة الذكريات ومن وقت لآخر يضحكون لبعض المواقف الطريفة والحرجة وكالليلة الأولى استمرت سهرة الليلة الثانية وعبر استعادة بعض الذكريات كان خوله يضحك من كل

قلبه ثم توجه بنظرة الى عمته الزائرة (عائشة) وقال لها وهو لايزال يضحك:

-عمتي اما زلت كالسابق خوافة؟ اتذكرين الليلة التي جئناكم مع عمتي شمسه الى كركوك وبقينا في بيتكم تلك الليلة حيث كنا في طريقنا الى بغداد لزيارة كاكه عزيز حين كان مسجوناً؟ اتذكرين ماذا فعلت بنا تلك الليلة؟ ارتمى خولة الى الخلف من شدة الضحك وقال:

-اتذكرين كيف لم تدعينا نأتي لننام فوق سطح الدار وقلت يجب ان تناموا هنا في الباحة لأن جارنا مفوض في الشرطة وهو ايضاً ينام فوق السطح مع عائلته واخاف أن يتعرف عليكم.

قال خوله وهو يمسح دموع عينيه من الضحك:

-لم تدعينا ننام تلك الليلة القائضة الساخنة في باحة داركم بسبب خوفك من مفوض الشرطة. فهل كان لدى مفوض الشرطة علم الغيب في تلك الليلة ليتعرف علينا؟ وهو الذي لم يكن قد رآنا من قبل.

وضحك الجميع، قالت شمسه:

-بالله عليكم لاتذكروني بتلك الحادثة رغم مرور خمس سنوات عليها فأنني انفجر غيظاً عندما أتذكرها.

ضحكت اختها عائشة وهي تخفي فمها بطرف شالها الأبيض الخفيف، وردت عليهم:

-قولوا ما تقولونه يا احبائي فأنني لا انكر واقول بصراحة انني (خوافة) وهذه طباعي ولا اتمكن من تغييرها.

هب خوله وقال:

-ياعمه ان كل انسان يخاف ولكن توجد بعض الحالات يجب ان يقوى الأنسان عزمه خاصة امام الحالات التي ترفع الراس عالياً امام العدو والصديق.

اجابت عائشة ابن اخيها وهي خائفة:

-كفى كفى بالله عليكم ولا تنصحوني بذلك فكما قلت لكم اني (خوافة) واتذكر تلك الليلة جيداً اكنتم تريدون ان يراكم مفوض الشرطة ويحسب بأن ولديّ حسن وحسين ايضاً يعملان في السياسة ويلقي القبض عليهما؟

دقت عائشة صدرها بكفها وقالت:

-ياساتر يا لطيف ارجوكم اتركوا هذا الموضوع وتكلموا في موضوع آخر.

بعد عدة ايام من مكوث عائشة خان وابنة عمها (آمنة) في بيت اختهم ذهبوا لزيارة اقاربهم الآخرين في المدينة وعلى الأخص والد تريفه الذي كان اخو شمسه وعائشة الأكبر وكانوا يحترمونه ويحبونه كثيراً بعد ذهابهما بثلاثة ايام طرق باب بيت شمسه وهبت مسرعة لترى من الطارق فتحت الباب لترى امامها امراة في كامل زينتها وملابسها الكردية تدل على عن رفاهية عيشها وقبل ان تتكلم شمسه بادرتها المراة بصوت هامس وبسرعة:

-من فضلك انت السيدة شمسه؟

اجابتها بشيء من القلق والأرتباك:

-نعم يا عزيزتي أنا ثم اردفت بتلعثم:

-تفضلي تفضلي اهلاً وسهلاً.

دفعت الإمراة الباب ودخلت الى باحة الدار وهي ملتفة بعباءتها وكأنها تريد ان لايتعرف عليها احد.

التفت الإمراة الى شمسه وقالت بهمس ايضاً:

-انني فقط اريد ان اقول لك شيئاً ويجب ان اعود الى البيت حالاً. واشارت الى غرفة صغيرة بجانب الباب كانوا يستعملونها للأشياء الفائضة ولأكياس الفحم وقطع الخشب المتكدس فوق بعضه لأستعماله في الشتاء.

وقبل ان تفتح شمسه فمها او تقول شيئاً حول الغرفة غير المناسبة لأستقبال الضيوف وخاصة هذه الضيفة الأنيقة دلفت الضيفة الى هناك تحذوها شمسه بقلب واجف قالت الضيفة بهمس وحذر وهي تتلفت يميناً ويساراً:

-انا اسمي (آفتاو) وقد جئت لأخبركم غداً سيأتي الى السليمانية مدير الأمن العام مع قائمة طويلة لألقاء القبض على الكثيرين في مقدمتهم كاكه عزيز لذلك جئت مسرعة لأخبركم حتى تكونوا على علم انني قد سمعت هذا الخبر في هذه الظهيرة. كان لديناً ضيوف من ضمنهم (المتصرف) و (مدير الشرطة) وسمعتهم من الغرفة المجاورة عندما كانوا على المائدة يتناولون الغذاء.

زفرت آفتاو وقالت ليجعله الله سما على قلوبهم ثم اكملت وقالت:

-سمعتهم يتداولون تلك الأحاديث فيما بينهم وقد ورد اسم كاكه عزيز عدة مرات.

قالت آفتاو هذا والتفت بعباءتها جيداً وخرجت بحذر وبسرعة قطعت الزقاق وغابت في الطريق العام، فيما كانت شمسه واقفة بذهول وبارتباك، وبعد برهة إستجمعت شمسه حواسها وقالت مع نفسها:

-ماهذا ولماذا تسمرت في مكانك هكذا؟ ان الذهول والأرتباك لن يفيداني بشيء ولأتوكل على الله وبعدها اتجهت نحو الدرج وبدأت تفكر بما يجب أن تعمله:

-قبل كل شيء يجب ان اذهب الآن وبسرعة لأخبار رفاق عزيز لكي يتدبروا امورهم وتأوهت بقلق وهي مازالت تصعد السلم على مهل شاردة الأفكار وحدثت نفسها:

-انظروا الى هذا الأمور المعكوسة ففي كل يوم وفي هذا الوقت يكون عزيز اما في البيت او يكلمنا عدة مرات على الهاتف ولكنه طيلة هذا اليوم لم يتصل بنا.

عند وصولها الى الطارمة إلتقتها تريفه وهي خارجة من غرفة نومها حيث كانت منشغلة مع طفلها وقد كان قد نام لتوه.

قالت تريفه لعمتها بهلع وهي تدق يدها على صدرها:

-عمتي الحبيبة مابك؟ ان لونك قد تغير وبهت ثم احتضنت تريفه عمتها وقالت اجلسي اجلسي سأذهب لكي آتيك بقدح من الماء ذهبت تريفه مسرعة نحو اناء الماء وهي تولول وعادت بقدح الماء لتسقي عمتها وقد ظنتها مريضة عندما رات شمسه كنتها وهي بهذه الحالة من القلق والخوف. تصنعت الأبتسام وقالت لها:

-لاتخافي يا حبيبتي انني بخير ولست مريضة فقد احسست بقليل من الدوار والصداع ولكن بعد شربي الماء تحسنت حالي.

هبت تريفه كمن تذكرت جرس الباب قبل قليل وقالت لعمتها:

-بالحق يا عمتي من الذي كان في الباب؟

قالت عمتها وهي تحاول ان تبدو كما لو انها قد نسيت كل الموضوع:

-اي باب؟ لم يطرق الباب ولم أسمع شيئا من هذا القبيل.

خاطبتها تريفه بقلق وقالت:

-ارجوك يا عمتي لاتخبيء عني شيئاً فكما تعلمين انني حساسة جداً وقد عرفت الآن سبب لونك الباهت فوالله ان الطارق قد أخبرك بشيء غير متوقع وغير سار. لذلك اخبريني ولا تدعيني اقلق أكثر. وكما تعرفين انني قد تعودت على الأخبار المفزعة واخيراً وتحت الحاح تريفه حكت لها عمتها قصة مجيء تلك السيدة الأنيقة والخبر الذي حملته اليها.

ارتبكت تريفه واصفر لونها واحست بقشعريرة تسري في جسدها ثم جلست في مكانها قائلة بتلعثم:

-ما العمل اذاً؟

ردت عليها عمتها وهي تتصنع اللامبالاة وقالت:

-لا تخافي يا عزيزتي ولا تهتمي لذلك وليأتي مدير الأمن العام وابوه كذلك وماذا عساه ان يفعل؟ اتظنين انه يتمكن من القاء القبض على كل أهل المدينة انه الآن سيأتي وسيعرض عضلاته ويلقي القبض على عدد من الشباب وسيظن هو واسياده انهم بهذا سيتمكنون من اخماد الدماء الملتهبة في عروق ابنائنا ولكن سيخيب ظنه بالتأكيد.

نهضت بعد ان استعادت قوتها وتعززت عزيمتها وقالت بأبتسامة انني منذ تلك اللحظة الى الآن افكر في هذه الإمراة النبيلة الشهمة التي جاءتنا بهذا الخبر انني لم أتعرف عليها تظنين من هي؟ فكرت شمسه قليلاً وهبت قائلة ماذا دهاني حتى انساها انها (آفتاو) زوجة (رفيق آغا) المتعاون مع الحكومة. ضربت شمسه كفاً بكف وقالت:

-يالخسارة هذه المراة المخلصة الوفية الكريمة ان تكون زوجة ذلك الحرامي الجاسوس الذي لاهم له الا اللعب على انواع الحبال لأجل تكديس الدنانير فوق بعضها البعض ان زوجها الحقير لايتمنع عن رد مطالب كبار رجال الحكومة حتى لو طلبوا منه الجلوس على ابواب دور المومسات. ولهذا ترينه دائماً وأبداً منهمكاً في عمل الولائم الدسمة لهذا المتصرف وذلك المدير العام

من أجل امرار اموره وتكديسه الأموال التي يحصل عليها بطرق غير مشروعة وغير شريفة. قالت شمسه هذا ثم واصلت كلامها :

-يا الله لنتوكل على الله ما فائدة الجلوس والوقوف والكلام يجب ان نتحرك. لبست شمسه حذائها وتلقفت عبائتها واصلحت من هندامها ونظرت لتريفه قائلة:

-انني ذاهبة لأخبار الجماعة واذا جاء عزيز او خوله اخبريهم بالأمر وليبدأوا بجمع الأوراق الممنوعة والبيانات وما شاكل ذلك.

استأذنت شمسه والتفت بعباءتها وخرجت من الدار وبسرعة قطعت الزقاق ووصلت الى الشارع العام. قالت في نفسها يجب الآن ان أصل الى (مكتبة فريدون) وأخبره بالأمر حتى يخبر الآخرين بدوره.

مشت شمسه مسافة عشر دقائق في الشارع الرئيسي الذي يوصلها الى بناية سراي الحكومة الذي كان في وسط المدينة والمشرف على الساحة التي كانت تتفرع عنها الشوارع المكتظة بالمخازن والمقاهي ودور السينما والفنادق وكذلك مكتبة فريدون القريبة من تلك الساحة.

وصلت شمسه الى مسافة قريبة من المكتبة وكان عليها ان تعبر الشارع لأن المكتبة تقع في الطرف المقابل، وعبرت الشارع ولكنها خففت من مشيتها قليلاً وأدارت وجهها حين شاهدت زحاماً في المكتبة وكانت شحنة من الكتب والمجلات الجديدة قد وصلت توا لذلك كانت المكتبة مزدحمة والناس منهمكين بالشراء مما جعل

شمسه تغير وجهتها عن المكتبة حيث شاهدت عدداً من افراد الأمن الواقفين هناك بحجة شراء الكتب وكان اكثر ما لفت نظرها هو رؤية فرج الأعرج لعنتهم شمسه من اعماقها واضطرت ان تتجه الى مكان آخر، واستمرت في مشيتها نحو تلك المحلات والمخازن وهي ترد على تحيات معارفها وكان ذلك يوقظها للحظات مع كل من يبادر بالسلام عليها. وصلت قرب احد مخازن بيع الأحذية ودلفت الى داخله. كان صاحب المحل منهمكاً مع عدد من زبائنه. رحب صاحب المحل بها وقال مبتسماً:

-عملت جيداً إذ جئت لقد وصلتنا اليوم من بغداد دفعة من الأحذية النسائية المريحة وقد علم بذلك زبائني وكادوا لايبقوا منها شيئاً ومع ذلك قد احتفظت لك بزوجين.

شكرته مبتسمة وقالت:

-عملت طيباً واشكرك كثيراً فكما تعلم ان قدمي تؤلمانني جداً وانا بحاجة لأحذية مريحة، ثم طلبت اليه ان يهتم بالزبائن:

-اهتم بزبائنك الآن فأني لست على عجل واريد أن اشاهد الأحذية الجديدة لعلي اجد حذاءً يناسب قدمي كنتي.

رد عليها صاحب المحل:

-كما تريدين ان المحل محلك.

شكرته شمسه وبدأت بالمرور على صفوف الأحذية وهي تتفحص أنواعاً منها.

بعد قليل انهى صاحب المحل طلبات زبائنه وذهب كل الى حاله وبعد ان لم يبق في المحل سوى شمسه هرع نحوها وهو يرحب بها:

-اهلاً بك مرة اخرى هل من جديد؟

نظرت شمسه الى الباب وواجهة المحل وقالت بهمس:

-الجديد ان غداً سيأتي مدير الأمن العام من بغداد ويلقي القبض على الكثيرين وعزيز على رأس القائمة.

ارتبك صاحب المحل قليلاً وقال:

-هل هذا الخبر من مصدر موثوق؟

-مئة بالمئة وها انا ذا عائدة الى البيت ولم أتمكن من الذهاب الى المكتبة لأنها كانت مزدحمة جداً.

رد كاكه (طه) صاحب المحل وقال بحرارة:

-لاتهتمي سأقفل المحل واذهب لأخبر كل الأخوان فلا تقلقي.

قالت شمسه بأنكسار:

-أرجوك لاتنسى ان تخبر كاكه غفور وحمه بذلك.

رد كاكه طه:

-اهذا كلام يا سيدة شمسه؟ كيف انسى ان أخبر كاكه غفور وكاكه حمه؟

رفعت شمسه يدها الى وجهها وكانت تداري دمعة منحدرة وقالت:

-اطال الله في عمرك اني اعرف مكانة حمه عندك ولكن قلت ذلك من باب الأحتياط لأن كاكه غفور المسكين قد حرم نفسه من

الظهور بكـثرة في الأماكن العامة تلافياً لجلب الأهتمام والشبهات عليه من اجل حمه وأنت تعرف ذلك. بعد ان طمأنها كاكه طه استودعته وخرجت من المحل وبعد خطوات هرع كاكه طه خلفها وهو يناديها:

-سيدة شمسه لقد نسيت علبة احذيتك.

عادت شمسه الى داخل المحل فأذا بكاكه طه يقول لها هامساً:

-لو تتفضلين بالتخلص من هذه الأوراق حتى أتمكن أن اكون حراً، وكما تعلمين لنا أعمال كثيرة يجب أن تنجز قبل وصول مدير الأمن البهلوان.

زفرت شمسه وقالت بصوت خافت جداً:

-امري الى الله. هاتها لأعود الى البيت وأخفيها مع الأشياء الأخرى، ان الله وحده يعلم بما يحويه منزلنا ناول كاكه طه علبة الأحذية المملوءة بالبيانات والأوراق وقال مبتسماً بحرارة:

-سلمت يا سيدة شمسه والله انك بطلة.

وصلت شمسه الى البيت وكان عزيز وخوله قد وصلا قبلها بدقائق معدودات. نزعت عباءتها ولفت بها علبة الأحذية المملوءة بالنشرات الممنوعة ووضعتها على احد الكراسي وسارعت تقول لأبنها عزيز:

-كيف حالكم يا ولدي هل اخبرتكم تريفه بالأمر؟

رد عليها عزيز وهو يحاول ان يكون طبيعياً وبأبتسامة باهتة قال:

-نعم يا أمي ومنذ الصباح كنت أعلم بذلك. لاتقلقوا ان الأمر لايستوجب منكم كل هذا القلق.

نظرت اليه أمه وقالت بشيء من الحدة:

-كيف لا نقلق، ان الأمر لا يستوجب ذلك؟ غدا الله وحده سيعلم بالذي سيحدث وحتما سيلقون بالعشرات في السجون المظلمة انهم لايخافون الله وليس عندهم ضمير ليت المسألة تبقى عند حد السجن والأعتقال فقط.

رد عزيز وهو يتصنع اللامبالاة:

-لاتهتمي فقد أخذ الأخوان حذرهم وتفرقوا كل في مكان قالت أمه بقلق:

-وماذا عن حمه وكاكه غفور؟

اجابها عزيز وهو يقطع الغرفة ذهاباً واياباً:

-ان تأخري اليوم عنكم كان بسببهم لأني كنت منهمكاً مع الأخوان لترحيلهم مع بعض من رفاقنا المشتبه بهم لدى الحكومة الى بعض القرى الآمنة في الجبال والحمد لله لقد تخطوا مخافر الحكومة بسلام.

ردت شمسه:

-الحمد لله لقد طمأنت قلبي ليطمأنك الله. لأنهم يقولون بأن الحكومة ستداهم البيوت غفلة.

قال عزيز:

-وليداهموا مايداهمون لنرى ما الذي سيجنوه غير الخزي والعار واللعنات من كل الناس.

قالت شمسه بسرعة:

-الآن دعنا من هذا الكلام ماذا ستفعل انت؟ ان اسمك على راس القائمة اذهب بسرعة واجمع كل الأوراق الممنوعة لأخذها الى مكان آمن مع علبة كاكه طه.

-لاتقلقي بالنسبة لي فأن مكاني جاهز وآمن وقد اتفقنا مع الأخوان عندما يهبط الظلام فسألتحق بهم فهم ينتظرونني واما عن الأشياء والأوراق الممنوعة فلا أظن انها ذات أهمية عدا رزمة صغيرة لأنني قبل ايام قد رتبت ادراج مكتبي واتلفت الأشياء غير المفيدة.

ذهب عزيز لغرفة المكتبة وبعد قليل عاد ومعه رزمة اوراق ووضعها في كيس وسلمه لوالدته وسلم خوله عدة اغلفة رسائل وقال إرمها في موقد الحمام رجاءً.

ذهب خوله وبلل الأوراق بقليل من النفط ورماها في الموقد بعد أن اشعل فيها النار وبعد غروب الشمس اخذ عزيز يهيئ نفسه للحاق برفاقه واخذ بجمع حاجياته الخاصة كأدوات الحلاقة وفرشاة الأسنان وبعض الملابس الداخلية وملابس النوم ووضعها في حقيبة صغيرة وكان يترقب ان يعم الظلام بقلق وكانت تريفه تساعده وعيناها دامعتان، اذ كانت تبكي خلسة وهي تحدث نفسها:

-انه يقول انها سفرة مؤقتة لعدة ايام وعندما ستهدأ الأمور سأعود فلا تهتموا بالأمر ولاتقلقوا. كيف لا أقلق وأخاف اذ من يضمن تهدئة الأوضاع؟ انه يقول سيعود الينا بعد ايام من يدري كم ستطول تلك الأيام؟ واذا زادت الأوضاع سوءاً أليس مصيره سيكون مثل مصير كاكه حمه كل يوم يختفي في بيت ومن مكان الى مكان.

مسحت تريفه دموعها وقالت في نفسها:

-يا الهي أرجوك أن ترعى عزيز وكاكه حمه ورفاقهما الآخرين انهم لم يرتكبوا أية جريمة انهم اناس مسالمون وطيبون وكل ذنبهم انهم وطنيون ويحبون ارضهم ووطنهم ويدافعون عن المظلومين فلماذا يكون جزاؤهم كل هذا.

واخيراً حان موعد الوداع، احتضن عزيز زوجته وقال وهو يبتسم لاتهتمي ولا تنزعجي للأمر من يدري لعل هذه المرة ايضاً ستكون مثل الشهر السابق عندما قالوا نفس الكلام ولكن لم يحدث شيء من هذا القبيل وليس ببعيد ان ينشروا هذه الأخبار والدعايات لبلبلة أفكار الناس وليبقوا قلقين ومضطربين، قبل عزيز طفله وهو يحاول تهدئة تريفه لأن دموعها كانت منهمرة من دون كلام.

قالت تريفه وهي تمسح دموعها:

-اذهب رافقتك السلامة واهتم بنفسك ولاتقلق علينا.

ذهب عزيز الى والدته في الطارمة حيث كانت منهمكة تهيئ نفسها للذهاب الى جهة اخرى احتضنها عزيز وقبلها ووشوش لها ببعض الكلام من باب الأحتياط والحذر واستودعها وراح ينزل السلم الى باحة الدار وخوله يتبعه حاملاً حقيبة ملابسه الصغيرة. فتح عزيز الباب ليخرج فاذا بخالته عائشة وقريبته آمنة تلتقيانه وجهاً لوجه. قالت خالته بشوق وحرارة وبصوت مرتفع نوعاما:

-خير ياحبيبي انت ذاهب مع خوله الى اين وما هذه الحقيبة؟

رحب عزيز بهما وابدى نفسه لهما فرحاً مرحاً مصطنعاً وقبل ان يجيبها بادر خوله قائلاً بسرعة:

-اننا مدعوان الى وليمة وهذه حقيبة صديقي كنت قد استلفتها منه عند ذهابي الى جمجمال قبل ايام.

دخلت المراتان الى البيت وخرج عزيز وخوله ايضاً لحالهما بينما قامت شمسه باستقبال اختها وابنة عمها بحرارة. مبدية لهما الفرح بلقائهما وقدومهما وسألتهما عن احوالهما:

-لقد اوحشتمونا واشتقنا لكما كثيراً اني آسفة الآن سأترككما مع تريفه لأنني ذاهبة في مشوار قصير وسأعود اليكما حالاً.

رفعت صوتها ونادت تريفه:

-تريفه اين انت ان ضيوفنا الأعزاء قد عادوا الينا انك منذ الصباح كنت تولولين وتقولين لماذا لم يعودوا الينا هاهما قد عادتا.

مسحت تريفه دموعها وحاولت ان تبدو طبيعية وخاصة انها كانت تعرف عمتها الزائرة عائشة كم هي (خوافة) ولو علمت بالأمر فسوف تموت فزعاً ولهذا يجب ان يكتموا عنها تلك الأخبار.

خرجت تريفه مسرعة من غرفتها واتجهت نحو قريبتهم الأخرى واحتضنتهم وجلست معهما بعد ان استأذنت شمسه مغادرة الدار مع حملها المخبأ تحت عباءتها.

اخذت شمسه تطوي الزقاق وهي تقرأ آية الكرسي والآيات الأخرى وتتوسل الى الله لكي يحفظ ولديها وأولاد الآخرين من شرور الحكومة ثم اتجهت نحو محلة (الشيخان) وهي تحاول قدر الأمكان أن لايتعرف عليها احد من معارفها الذين يصادفونها. وكان حظها حسناً بسبب الظلام وخلو الأمكنة والشوارع من الناس تقريباً حيث كان اكثرهم قد أووا الى بيوتهم أو الى المقاهي في تلك الساعة وصلت شمسه الى الدار التي كانت تقصدها وهي من البيوت المشيدة على الطراز القديم له مدخل خشبي كبير ذو بوابتين تتوسط الدار باحة واسعة أرضها مرصوفة بالأحجار غير المتناسقة وفي وسطها حوض صغير ذي نافورة عتيقة غير صالحة وكان أهل الدار قد ورثوها من آبائهم ويستعيدون من خلالها ذكراهم وكانت تطل على تلك الباحة المزينة بعدد من الأشجار الكبيرة وافرة الأطراف وعريشة. كان البيت ذو طابقين وغرف كبيرة ذات سقوف عالية وكانت تسكن الدار عائلة معروفة من الوجهاء ومشهورة بكثرة أفراد عائلتها وبإستقبالها الضيوف من

كل الأصناف وخاصة أهل القرى من معارفهم الذين كانوا يتوافدون على المدينة لأنجاز أعمالهم أو للتردد على الأطباء والمستشفيات. حيث يمكثون في ذلك البيت الذي يمتلكه رجل كريم النفس رقيق القلب، ويتألم لألم الناس ويفرح بفرحهم وعلى الأخص المعروفين بوطنيتهم منهم ويساعدهم ويمد لهم يد العون بكل ما لديه من طاقة وكل ذلك في الخفاء دون علم الحكومة اذ ان الحكومة كانت تتغاضى في بعض الأحيان عن المعلومات التي كان لزلامها يوصلونها اليها لأنها كانت على علم بمكانة ذلك الشيخ الكريم في قلوب الناس ولذلك كانت تتخطى وتتجاهل بعض الأمور الصغيرة وتتحاشى المساس به ومع ذلك فقد سبق لها ان القت القبض عليه ولعدة مرات ولكنها سرعان ما كانت تخلى سبيله بسبب الضغوط وخوفاً من حدوث ما لايحمد عقباه.

كانت شمسه قد تعودت في الأوقات العصيبة أن تذهب اليهم وكانوا يستقبلونها بحفاوة ويصرفون لها امورها ويودعون ما كانت تريد أن تخفيه عندهم.

رجعت الى البيت وهي قلقة شاردة الأفكار وكان يجب عليها أيضاً ان تتظاهر بالمرح وان توزع الأبتسامات على اختها وابنة عمها وتجاملهما وهي في تلك الحالة.

احتارت شمسه بسبب مجيء اختها عائشة التي كان قلبها يكاد يتوقف عن الخفقان من الخوف لمجرد ذكر اسم الشرطة والأمن والحكومة فلهذا كان مجيئها في تلك الليلة قد زاد من قلق

شمسه لأن الأفكار التي كانت تداهمها تحمل اليها صورة رجال الحكومة وقد داهموا البيت ترى ماذا سيكون موقف اختها من ذلك وحسب العادات والتقاليد العائلية الموروثة فليس من المعقول ان تبدي لضيفتها من الحجج والتصورات ماتوحي لهما بضرورة مغادرة دارها. وهي التي اخبرتهما قبل دقائق بأن مكانهما في قلبها وانها مع تريفه وخوله كانوا على احر من الجمر لرجوعهما الى عندهم بعد تفكير ومشاورة في الخفاء مع كنتها وابن اخيها توصلوا الى انهم في اليوم التالي قد يتمكنون من ايجاد الحجج لأن يذهبا الى بيت اخيهم او اي مكان آخر، لتكونا بعيدتين عن تلك المواقف المنتظرة. وبعد العشاء ومع شرب الشاي جلسن مع بعضهن يتسامرن كالليالي السابقة او كل تحكي شتى الأحاديث الى وقت متأخر من الليل حين اخذوا يتثاءبون وبعدها ذهب كل منهم الى فراشه لينام.

كانت تريفه دامعة العين وهي تأوى الى فراشها الذي كان يقاسمها اياه في الليلة السابقة زوجها الذي تحبه من اعمق اعماق قلبها وهاهي الآن تحاول النوم في نفس الفراش الذي كان في الليلة السابقة دافئا وشاهدا على ضحكاتها ومرحها وهي بين ذراعي زوجها الذي كان يهيم بها حبا وغراما. وهاهي الآن تجيل بنظرها في ارجاء غرفتها التي اصبحت في تلك الليلة كالصحراء القاحلة المهجورة:

-يا الهي اتمنى ان يهدأ الوضع بسرعة وان تكون هذه الأخبار مجرد دعاية وان يعود عزيز ثانية ويعود كل غائب الى احضان اهله والكل يعيش بسلام وامان.

انحشرت شمسه أيضاً في فراشها وحاولت أن تنام بعد ان نام الآخرون ولكن محاولاتها باءت بالفشل ولم يغمض لها جفن من كثرة الأفكار التي كانت تراودها والقلق الذي كان ينهش في داخلها واخيراً وفي ساعة متأخرة جدا من الليل وتحديدا حوالي الثالثة صباحاً وماكادت ان تغفو لتوها بعد صراع مرير مع هواجسها حتى فوجئت بطرقات قوية ومتتالية على الباب. هبت على اثرها فزعة وهي تحاول السيطرة على مخاوفها، وقد قذفت بالأغطية جانباً لتهرع لمعرفة الطارق في هذا الوقت المتأخر من الليل.

هبطت السلم بارتباك:

-حاضر حاضر ها انا قادمة. من الطارق اللهم اجعله خيراً.

فتحت شمسه الباب لترى جمعاً من الأفراد المدنيين والشرطة وقبل ان تفتح فمها بادرها احدهم قائلاً بشيء من الحدة:

-اهذا دار عزيز بكر؟

اجابته شمسه بذهول وهي تحاول تغطية شعرها الأبيض بحركات مرتبكة وبيدين باردتين كالثلج وصوت مهزوز:

-نعم هذا بيته وانا امه.

اضاف آخر بلهجة آمرة:

-أين هو؟ نريد ان تناديه.

اجابته وهي تحاول السيطرة على نفسها:

-انه ليس هنا.

-الى اين ذهب؟

-ذهب الى كركوك.

-لقد جئنا لتفتيش داركم وهذا امر حكومي لهذا دعينا ندخل.

تفحصتهم شمسه بنظرة عصبية وقالت لهم مبتسمة بسخرية:

-تفضلوا. ولكن لماذا في هذا الوقت المتأخر من الليل اكنا سنفر اذا جئتم في الصباح؟ انكم قد انزلتم الرعب والخوف على قلوب الناس واطفالهم في مثل هذه الساعة.

رد احدهم من الخلف:

-ان هذا امر الحكومة ولافائدة من الجدال.

فتحت لهم الباب وهي تحدث نفسها:

-ان الحكومة بهذا العمل تعرض على الناس شهامتها واخلاصها فالخزي والعار لهكذا حكومة. في تلك اللحظة ادارت شمسه بوجهها فاذا بتريفه وخوله يحاولان الهبوط للحاق بها قبل ان يصل ذلك الرهط الكبير من الشرطة وافراد الأمن الى باحة الدار تذكرت شمسه نصيحة ابنها وقالت بتحد:

-اريد ان افتشكم فرداً فرداً.

قبل ان تنهي كلامها وقف احد الأفراد ورفع يديه وقال:

-تفضلي فتشي.

في تلك الأثناء سمعت شمسه صوتاً معروفاً لديها من بين الرهط المزدحم حين قال:

-سيدة شمسه انا توفيق المختار لاتخافي انني معهم. لهذا لاتقلقي.

اجابته شمسه وقد انقلب توترها وخوفها الى ارادة متحدية:

-لايهمني ان كنت معهم أم لا. يجب ان افتشهم انا كذلك لأنه ليس ببعيد ان تكون ثمة منشورات واوراق ممنوعة معهم ويلقون بها بين امتعتنا ويقولون بعدها انهم عثروا عليها عندنا. سأل احدهم بالعربية:

-ماذا تقول؟

اخبره احد الأفراد بما تقول. عندها قال ذلك الشخص الذي تكلم بالعربية ويظهر انه كان كبيرهم:

-دعوها تفعل ماتريد.

فتشت شمسه جيوب بعضهم وفي داخلها كانت تسخر من نفسها:

-خانم حتى اذا كانت معهم اخطر المنشورات فهل ستقدرين على قراءتها؟ زفرت شمسه ورددت في نفسها:

-آخ، ما أجمل ان يعرف الأنسان القراءة والكتابة والعلم. صحيح ان الأمي كالأعمى في هذه الدنيا.

نظر احد الأفراد المدنيين الذي كان يتقدم الرهط الى خوله وسأل بالعربية:

-اسألوها من هذا؟

-اجابت شمسه:

-انه ابن أخي وحين كان طفلاً اصيب بمرض وترك فيه أعراضاً عصبية فهو تقريبا نصف معتوه.

قالت هذا لأنها كانت خائفة عليه ولعل بهذا الكلام يتركونه وشأنه.

هب توفيق المختار قائلاً:

-ان ماتقوله سيدة شمسه صحيح فالكل يعرف بأن احوال ابن اخيها العصبية ليست على مايرام اما خوله فأخذ يحملق في الوجوه ويقوم بحركات غير طبيعية حتى يضمن سلامته ولكي لايلقوا القبض عليه.

صعد قسم منهم الى الطابق الأعلى وبقي الآخرون في باحة الدار وتفرقوا في انحاء الدار وفي تلك الأثناء استيقظت عائشة من نومها على الجلبة والزحام الذي وصل الى الشرفة حيث كانت غرفة نومها في نهايتها.

استيقظت عائشة فزعة، والتفتت بسرعة نحو فراش اختها شمسه حيث كانت هي وابنة عمها آمنة نائمتين في غرفتها.

عندما رأت فراش اختها خالياً هرعت بسرعة نحو النافذة الواطئة المطلة على الشرفة وفجأة انهالت على راسها باللطم بيديها الأثنتين واتجهت نحو فراش بنت عمها آمنه وقالت بفزع واضطراب وهلع مميت:

-آه يامصيبتي، آه يا سواد أيامي ويا لسوء حظي وأخذت تقفز وتتأوه في الغرفة وكأن افعى لدغتها أو ضربتها صاعقة وهي تقفز وتضرب صدرها ورأسها بيدها.

هبت آمنه من النوم مذعورة وهي تشاهد بنت عمها عائشة في ذلك الوضع وقالت بأرتباك وخوف:

-ياساتر يالطيف. مابك؟ مابك؟ مالذي حصل يا الهي؟

تلقفتها عائشة وهي على تلك الحالة وقالت بسرعة وتلعثم:

-انهضي انهضي وشاهدي.

ضربت عائشة صدرها بقوة وقالت:

-انظري انظرى لقد امتلأت الدار بالشرطة ورجال الحكومة يامصيبتي أين المفر! بحق الله انقذوني من هذه المصيبة.

رغم سذاجة آمنه وفزعها من ولولة عائشة المفاجئ وارتباكها الشديد وقبل ان تجيبها بكلمة قالت في نفسها:

-يالها من إمرأة انانية جبانة انها لم تضطرب وتفزع من اجل اختها المسكينة وكنتها التي في عمر الورود ايضاً وكل هؤلاء الشياطين والأزلام من الشرطة والأمن قد إحتلوا بيتهم وهاهم يدخلون غرفتهم ويبعثرون امتعتهم واشيائهم بل هي خائفة من أجل نفسها!

زفرت آمنة.. وهي تنظر الى ابنة عمها عائشة وهي على تلك الحال من لطم وقفز وولولة وهستيريا لذلك قالت وهي ترمقها بنظرات استنكارية:

-ايتها الفيلة الهرمة العتيقة مابك وما شأن الشرطة والأمن بك؟

استجمعت آمنة قواها ووقفت تقول بغضب لعائشة:

-على مهلك على مهلك. من ماذا تخافين؟ كان يجب علينا أن نخاف ونتألم على أهل الدار المساكين ما شأننا نحن بالشرطة وما شأنهم بنا حتى اذ سألونا سنقول لهم اننا آتينا للزيارة فقط واننا نسكن في مدينة اخرى.

اكملت آمنة قائلة:

-كفاك قفزاً ولطماً فلو علمت شمسه بك وبما تفعلين فستغضب من تصرفك الى الأبد.

قفزت عائشة نحوها وهي تنتفض غيظاً من كلامها ومدت يديها نحوها بأشارة عصبية وقالت بتلعثم من شدة الغضب والارتباك:

-ما هذا؟ والله عال؟ منذ متى اصبحت هكذا شجاعة وبطلة ووطنية حتى تستهزئي بي من خوفي وفزعي؟ وكيف لااخاف؟ عليك اللعنة!

ردت عليها آمنة وهي تكاد تنفجر غيظاً وقالت:

-ارجو من الله ان يميتك ذعرا. أقول لك الحقيقة، انهم سيعتقلوننا نحن ايضاً فافعلي ماشئت.

هجمت عائشة نحو بنت عمها وقالت:

-قطع الله لسانك على ماتقولين.

ارتمت عائشة على الأرض وهي تولول ثم تنهض جالسة وتقول بصوت متحشرج ومختنق:

-يا الهي ارحمني وابعدهم عني حتى لايروني يا شيخ عبدالقادر الكيلاني، يا امام عباس، يا (ابو رأس الحار)، يا امام حسين ويا امام حسن، يا امام علي ابو سيف ذوالفقار، ياكاكه احمد الشيخ، جميعكم انجدوني وساعدوني. يا عباس يا ابو رأس الحار. نذرٌ علي ان أعد لك قفتين من الخبز الساخن وأوزعه على الفقراء طلباً لثوابك!

انتهى افراد الأمن من تفتيش غرفة نوم عزيز وتريفه بعد ان بعثروا جميع الملابس والمحتويات، وبعثروا الكتب وقلبوا الحقائب وجعلوا الغرفة في فوضى لا حدود لها واخيراً بعد ان يأسوا من عدم عثورهم على شيء استعدوا للخروج من الغرفة وقبل ان يخرجوا سحب احدهم احد ادراج منضدة تواليت صغيرة قرب باب الغرفة وكان الدرج يضم بعض القلائد والسبح الخرزية المختلفة وبعض الأقراط المزيفة التي كانت تريفه تشتريها في بعض الأحيان. قلب رجل الأمن الدرج ورفع عنه تلك الأشياء لعله يجد ورقة او اي شيء تحتها فاذا به ينتفض قائلاً:

-هاي هاي شيء جميل جداً واذا به يلتقط من بين تلك الأشياء الصغيرة والخرز والسبح دبوساً صغيراً سلمه لرئيسه وهو بدوره سلمه للآخرين.

عضت شمسه على شفتيها خلسة وهبط قلبها من الخوف وقالت في نفسها:

-من اين جاء هذا يا الهي لماذا نسيناه هكذا.

اعاد صوت رجل الأمن الجهوري شمسه الى رشدها وقال لها بحدة:

-من اين لكم هذا؟

ردت شمسه بأبتسامة وسذاجة مصطنعة وقالت:

-وما هو هذا؟ هذا الدبوس الصغير؟ وماذا يزعجك منه؟

رد عليها آخر مستخفاً بكلامها:

-ما هذا الدبوس الصغير. ها، والله كلام جيد يظهر انك ممثلة بارعة وقد حفظت دورك بإمتياز واكمل قائلاً:

-انك امراة كبيرة السن ومسلمة وتصلين وتصومين فكيف يجب ان تخفي الحقيقة؟ انك تعرفين جيداً ان هذا الدبوس هو شارة انصار السلام وهذه حمامة السلام وان ابناءك قد جاءوا به من مؤتمر انصار السلام.

ثم اكمل: اين كنتك يجب ان نسألها.

هبت شمسه وقالت بعصبية ان كنتها شابة صغيرة وليس لها شأن بهذه الأشياء فكل ما تجدونه في هذا البيت أنا مسؤولة عنه ولا احد غيري.

اجابها الرجل الذي عثر على الدبوس:

-قولي لنا الحقيقة من اين لكم هذا والا سيكون موقفك على غير مايرام.

ردت شمسه قائلة:

-انه دبوس كنت قد عثرت عليه في نزهة عندما ذهبنا الى (قلياسان) وكان جمع كبير هناك جاءوا للنزهة ولم ادري كيف وجدته وعثرت عليه بين تلك الحشائش انا المسؤولة عنه وليس أحد غيري.

قال رجل وكان يظهر انه مسؤول ذو مكانة حكومية رفيعة:

-لماذا لاتنصحين ابناءك ليكفوا عن هذه الأعمال المخربة وليصبحوا مواطنين صالحين لكي يعيشوا مرتاحي البال سعيدين في بيوتهم خاصة ابنك الكبير عزيز الذي له هذه الزوجة الجميلة فكيف يطاوعه قلبه ان يتركها هكذا وينشغل بتلك الأعمال المخربة الممنوعة.

شعرت شمسه وكأن جميع دماء جسمها تكومت في وجهها وصعدت الى رأسها من شدة الغضب لذلك ردت عليه وهي ترتجف من الحدة:

-ان ابنائي لم يفعلوا شيئاً ولم يرتكبوا اي شيء غير جيد وهم ليسوا مخربين.

فردَّ عليها بحدة:

-كما قلت لك انت ممثلة بارعة من الذي لقنك هذا الكلام، عزيز أو حمه انها كما قلت شارة حمامة السلام وليس دبوساً عادياً.

كادت شمسه ان تنفجر من الغضب وقالت:

-وماذا يهم ان كانت حمامة سلام؟ او ديك أو دجاجة سلام وما السيء من ذلك ايوجد شيء في هذه الدنيا اجمل وأسمى من السلام

وان يعيش كل البشر في حب وسلام وهل انكم تريدون ان يكون الناس من أنصار الحروب والشر والدمار؟

لعنتهم شمسه في قرارة نفسها، أجريمة أن يحب الناس العيش بسلام وبدون دماء ودموع لتخسأ هكذا نفوس شريرة لتطرد من الوجود هكذا حكومة.

وأخيراً اخذوا شارة حمامة السلام الصغيرة التي كانت عبارة عن هيكل حمامة افردت جناحيها ومصنوعة من الفضة ومركبة على الدبوس الصغير لتوضع في الصدر أو في الياقة.

بعد الأنتهاء من غرفة تريفه والمكتبة اتجهوا نحو غرفة شمسه التي كانت اختها وابنه عمها هناك.

دلف ذلك الجمع الكبير الى الغرفة وعندما رأوا عائشة وآمنة سألوا شمسه عنهما فقالت:

–أنهما ضيفتان جاءتا لزيارتنا.

سرت رعشة في جسم عائشة وأصبح لونها اصفر كالليمون واندهشت في نفسها لأنها لم تمت في تلك اللحظة مع انها نصف ميتة!

بداوا بتفتيش الغرفة وقلبوا كل شيء رأساً على عقب وبعثروا حاجيات وأكياس شمسه هنا وهناك وعندما غادروا الغرفة متوجهين الى السلم أخذوا يهبطونه الى الباحة وعند وصولهم الى الباحة سألوا شمسه:

–اين غرفة ابن أخيك؟

دلتهم عليها فدلفوا الى هناك وكان خوله مرافقاً لعمته وكان واقفاً معهم عند ذهابهم الى غرفته نظر أحدهم الى شمسه وقال:

-هذه غرفة ابن أخيك؟

ردت شمسه بنعم حينها اكمل رجل الأمن كلامه بأبتسامة ساخرة.

-اهذه غرفة او محل جمع السكراب؟

أجابته شمسه بقنوط لا يخلو من التحدي:

-ماذا نفعل؟ هذا السكراب هو كل ما نملكه ولكن الحمد لله راسنا مرفوع بالعز والشرف. واخيراً وبعد بعثرة حاجيات خوله ايضاً بدأوا بالأنسحاب من الغرفة ومن البيت كذلك.

وفي اليوم التالي كانت المدينة مرتبكة والناس مضطربين خاصة تلك العوائل التي كان قد القي القبض على ابنائها في الليل عند مداهمة رجال الحكومة لبيوتهم. وكان آخرون يغطون في نومهم ولم يشعروا بأي شيء إلا عند نهوضهم في الصباح او خروجهم لأداء أعمالهم. كان القلق والغضب باديين على وجوه أهالي المدينة وخاصة عندما علموا بأن المقبوض عليهم قد ارسلوا في الحال الى سجون بغداد او الموصل.

وكان طبيعياً ان يكون كل من المقبوض من الوطنيين الشبان ومن الطلبة والكسبة والعمال العاديين وأما مكتبة فريدون فأنها كانت في صباح ذلك اليوم قد ختم بابها رسميا بالشمع الأحمر الا ان صاحبها كان قد اختفى عن الأنظار.

وحتى الذين لم تداهم بيوتهم ولم يلق القبض على أبنائهم وذويهم فقد كانوا مضطربين ومرتبكين وكان بينهم من ينصح أبناءه بعدم التقرب من البيوت والعوائل التي اعتقل أبناؤها لكي لاتظن الحكومة بأن لهم علاقة بهم أو انهم يتعاونون معهم.

وكان من بينهم من يرد على هذه النصيحة غاضباً:

-كيف لا أقترب منهم وكيف لا أسأل عنهم. يا للخزي والعار. اين الشهامة واين الضمير فوالله سأذهب الى بيوتهم وأسأل عن أحوالهم ولايهمني الذي سيحصل خاصة النساء كن غير مباليات إذ كنّ يشاركن عوائل المقبوض عليهم قلقهم واحزانهم.

وكان ثمة آخرون وخاصة المنتفعين الراقصين على الحبال يقفون جانباً ويهمس بعضهم الى البعض، شامتين بهؤلاء العتقلين ويصرح أحدهم للآخر:

-ماذا يريد هؤلاء الفوضويون أنهم لايتركوننا لحالنا، ودائماً يعكرون علينا سير أعمالنا وصفونا وتجارتنا ومكاسبنا بأعمالهم، ويقفون ضدالحكومة ماذا يريدون من الحكومة وماذا ينقصهم؟

كانوا يتقولون هكذا، ثم يديرون ظهورهم الى عوائل المعتقلين حتى من أقرب معارفهم والذين كانوا والى ماقبل يومين أو ثلاثة من تلك المداهمة الحكومية في تزاور حميم يبدون لهم الأشواق والعواطف على موائد الولائم ولكن في وقت الشدة كانوا ينسون كل شيء وكل مايجب عليهم من نخوة ورجولة من أجل مصالحهم الشخصية غير انهم كانوا فئة قليلة جداً بين أفراد الشعب وأهل

المدينة الذين كانوا يداً واحدة ويشاركون اخوانهم الوطنيين في السراء والضراء ويسرعون علانية لمساعدة تلك العوائل خاصة الذين كانت أحوالهم المالية متدنية. وكانوا يعيشون على المكسب اليومي وكان المتحمسون من الأهالي يجتمعون في بيوت بعضهم البعض أو في امكنة بعيدة عن عيون الأمن ويتناقشون فيما بينهم ويجددون العهد على بذل الغالي والرخيص من اجلهم:

-كيف لاتهب لمساعدتهم والوقوف معهم انهم يناضلون من أجلنا ومن أجل أعلاء شأننا ومن اجل كسب حقوقنا المهدورة المغتصبة ولهذا يعتقلون ويسجنون ويضربون ويتعذبون. بعد أيام من مداهمة الحكومة لأهالي السليمانية وصلت شمسه رسالة مطوية ومغلقة بعناية حيث كانت تبدو وكأنها حبة تمر وكانت الرسالة من أبنها عزيز يخبرها بسلامتهم هو وأخوه وبعض رفاقه الأخرين الخطرين على الحكومة. وكان قد أوصاها ايضاً بأن تنجز له بعض الأعمال السرية هنا وهناك.

فرحت شمسه وتريفه بالرسالة وحمدت الله على ذلك وهبت بنشاط وتلقفت عباءتها ولبست حذائها وخرجت من البيت مطمئنة بعض الشيء لأنجاز توصيات ابنها. وعند وصولها الى منتصف الزقاق رأت من بعيد امرأة ملتفعة بالعباءة وهي تتوجه نحوها.

بعد لحظات من التوجس والاضطراب تهللت اسارير شمسه وقالت بشوق:

-اهلاً وسهلاً يا ام كاكه وشيار كيف الصحة والأحوال؟

اجابتها (ام وشيار) بنفس الشوق والحرارة وبصوت خفيض:

-لدي بعض الأخبار جئت لأنقلها لك اتحبين أن نذهب الى بيتنا او بيتكم؟

قالت شمسه بحرارة:

-طبعاً بيتنا لأنه اقرب الينا.

ذهبت المراتان نحو بيت شمسه ودلفتا الى الداخل. وكل تسأل عن احوال الأخرى.

بعد الترحيب الحار من قبل شمسه قالت ام وشيار شبه هامسة:

-لقد جئتك لأطمئنك بأن هذا الوضع المتشنج سيزول قريباً وان أولادنا سيفرج عنهم بعد حوالي اسبوع وهم جميعاً بخير.

ضحكت شمسه وتهلل وجهها:

-من اين لك هذه الأنباء السارة؟

ابتسمت ام وشيار فرحة:

-البركة في (خاتوزين) المسكينة انها جاءتني منذ الصباح الباكر وتكاد تطير فرحا واخذتني الى ركن من الغرفة لتقول لي:

-لاتخافي يا خالة فوالله بعد اسبوع واحد فقط سيعود كاكه وشيار واخوانه سالمين وسيفرج عنهم لقد سمعت اخي فرج وهو يخبر اصدقاءه بذلك انتفضت شمسه وقالت:

-الله يطمئن قلبك وقلبها، في الحقيقة ان هذا الخبر مفرح جداً وأشكرك الف الف مرة فوالله منذ تلك الليلة المشؤومة والى الآن والكابوس جاثم على صدري وقد حرمني الأكل والشرب والنوم.

ردت ام وشيار بصوت خافت:

-اطمئني ان اصل الحكاية كما قالت (خاتوزين) وهو ما سمعته من شقيقها بأن في النية ان يأتي في هذا الأسبوع الملك فيصل الصغير وخاله لزيارة كركوك والسليمانية ولهذا القوا القبض حسب مفهومهم على (المشاغبين).

اجابتها شمسه بأبتسامة باهتة:

-لينتقم الله منهم، رجعت شمسه في كلامهاوقالت اني لااقصد الملك المسكين فيصل الصغير فأنه يتيم ولاحول له ولا قوة فأن كل هذه المهازل وكل المآسي التي يتعرض لها الشعب من كيد خاله وبقية جماعته.

ضربت شمسه كفاً بكف وقالت متأففة:

-بالله عليك هل هذا منطق وجدان وضمير؟

يداهمون مدينة بأكملها ويلقون الرعب في قلوب كل هؤلاء الناس ويلقون بأبنائنا في غياهب السجون ودموع عوائلهم الحزينة تنهمر بدون حساب وكل ذلك من أجل سفرة عدة خونة لعرض عضلاتهم المزيفة.

لو كانوا واثقين من انفسهم ومن حب الناس لهم لما كانوا فعلوا ذلك ولو كانوا اناساً مخلصين ومحبوبين من الشعب لكان ابناء

الشعب يأتون لأستقبالهم بالورود والرياحين بدل الغضب والدم والدموع والشتائم.

زفرت شمسه وقالت:

-مرة اخرى اقول باستثناء الملك المسكين اليتيم انشاء الله تصبح هذه السفرة آخر سفرة وآخر مرة يقومون بها في ارجاء البلاد يارب آمين.

رسمت شمسه ابتسامة على شفتيها من اجل ضيفتها وقالت:

-اشكرك واشكر (خاتوزين) المظلومة من كل قلبي وأهديها قبلاتي الحارة بسبب هذه الأخبار المفرحة لحظة صمت مرت، انتفضت شمسه بعدها وقالت لصاحبتها ام وشيار:

-اتتذكرين عند العدوان الثلاثي على مصر كيف داهمت الحكومة بيوتنا فجأة والناس نيام والقت القبض على ابنائنا.

ضربت ام وشيار صدرها وقالت:

-كيف انسى تلك الليلة. ان تلك الليلة عالقة في ذهني الى آخر ايام حياتي انهم بذلك العمل كانوا يتوقعون اخماد الثورة في نفوس ابنائنا ونفوسنا وكان يبدو لهم بأنهم سيزرعون الخوف حتى لاتقوم المظاهرات المؤيدة لمصر ولكن خابت آمالهم، وقد رايت ما الذي حصل ومع كل تلك المداهمات. وزج ابنائنا في السجون مع ذلك قامت المظاهرات وقاومت تحدي الحكومة ببسالة ليس لها نظير وحتى النساء والفتيات (رايت ماذا فعلن؟

زفرت ام وشيار وقالت:

-في تلك الليلة ياليت كنت تعرفين من كان في دارنا؟ كانت ليلة لامثيل لها.

قالت ام وشيار بأبتسام:

-الى الآن عندما اتذكر تلك الليلة تسري في جسمي قشعريرة، في ذلك اليوم جاءني وشيار وقال لي:

-يا امي سيأتينا زائران رجل وزوجته وطفله انهم من اخواننا الأكراد الأيرانيين فروا من ظلم الشاه ولجأوا الينا يجب أن نساعدهم. انهم لايملكون اي شيء وليس لهم مكان يبيتون فيه واتمنى ان تفسحي لهم المجال ليسكنوا معنا الى أن يهيء لهم الأخوان منزلاً ومكاناً.

اكملت ام وشيار:

-حينها قلت له على الرحب يا حبيبي ان بيتنا واسع يكفينا ويكفيهم وانا فرحة بذلك.

جاء وشيار بالضيوف واسكناهم في احدى الغرف وكتمنا امرهم عن الجيران ايضاً وقلنا لهم انهم من معارفنا جاءوا لزيارتنا ولم يمض وقت على مجيئهم حتى داهمونا في تلك الليلة، فالضيف وزوجته كانا دخلا الحدود خلسة وبمساعدة عزيز واخوانه ضربت شمسه يدها على صدرها وقالت بفزع:

-يا ساتر يا رب كان الله في عونك الحقيقة انه كان موقفاً محرجاً وخطراً.

قالت شمسه بلهفة:

-بالله عليك اكملي وماذا بعد؟ وما الذي حصل؟ وماذا فعلت؟

اكملت ام وشيار سرد قصتها واخذت نفساً عميقاً وقالت:

-كما تعلمين كان الليل متأخراً جداً عندما داهموا البيوت وكنا نحن ايضاً نياماً انا في غرفتي ووشيار في غرفته وضيوفنا في غرفتهم، صحوت على صوت طرقات قوية على الباب. انتفضت واقفة وانا فزعة لففت رأسي بشالي وهرعت مسرعة وانا اقول، نعم نعم ها انا قادمة وفتحت الباب واذا بجمع غفير من الشرطة والأمن قالوا اين ابنك يجب ان نفتش بيتكم نادي على ابنك.

ابتسمت ام وشيار وقالت لمحدثتها:

-لاادري ما الذي دهاني في تلك اللحظة لم أخف ولم ارتبك وانا أعلم بكل تلك الممنوعات في بيتي.

تملكني شعور تحد صارم ولم ابال بالموقف ولم اهتز له. قلت لهم بلهجة طبيعية جداً:

-ابني نائم وتفضلوا فتشوا ماتريدون ولكن اسمحوا لي لحظة حتى اهيئ نفسي انني بملابس النوم وكما تعلمون انني امرأة متدينة واصلي ولا أتمكن من مواجهة أحد بهذا الشكل.

قال أحدهم:

-ليكن ما تقولين ولكن بسرعة.

-قلت شكراً، انتظروا لحظة، ثم تفضلوا.

اكملت ام وشيار بحرارة وكأن حوادث تلك الليلة قد هزت مشاعرها من جديد قالت:

-اسرعت وانا اتخبط في الظلام، ومن حسن حظي اني لم اولع مصباح باحة الدار بسبب عجالتي وهذا الأمر نفعني جداً لذلك اسرعت نحو غرفة ضيوفنا أولاً حيث كان نور ضعيف يتسلل من مصباح مضاء من أجل طفلهم. ودلفت بسرعة الى غرفتهم واخذت اوقظهم وانا فزعة لأخبرهم بالأمر.

من سوء الحظ كان الرجل نائماً في فراشه مع زوجته وهو نصف عار وكما هي عادة الأيرانيين على ما اعلم فنهض بسرعة والتف بقطعة من ملابسه وخرج من الغرفة مندفعاً امامي حيث إتجه الى سلم خشبي في احد أركان باحة الدار ليصعد منه الى السطح. ولما اطمأنيت لذلك اسرعت نحو وشيار ايضاً لمقابلتهم وادخالهم الى البيت واخذوا يفتشون غرفة وشيار وغرفتي وغرفة اخرى وبعدها ذهبوا الى غرفة ضيفي وسألوني من هذه الأمراة وطفلها؟

-قلت انها ابنة شقيقتي وهي متزوجة، وقد جاءت لزيارتي مع طفلها.

سأل احدهم:

-ما اسم زوجها واين تسكن؟

-اسم زوجها محمد من اهالي دهوك وبيتها هناك.

قال آخر:

-انت من السليمانية ما الذي اوصلك الى دهوك حتى تزوجي ابنة شقيقتك هناك؟

قلت:

-كما تعلم انها القسمة والنصيب ان عائلة زوجها كانوا من معارفنا وكنا نتزاور في احيان كثيرة.

تفحص احدهم جدران الغرفة واقترب من بعض الملابس المعلقة فوق بعضها وعندها اشار الى الملابس وقال:

-لمن هذه الملابس الرجالية؟

اجبته قائلة:

-إنها ملابس إبني وشيار.

وعندها وقف وشيار وقال بأعتداد: ملابسي..

قال احد رجال الأمن:

-منذ متى تلبس الملابس الكردية؟ انت دائماً تلبس البدلة الفرنجية!

اجابه وشيار:

-وما العجب في ذلك انه بيتي وانها غرفنا ونحن احرار اين نضع ملابسنا وماذا ارتدي اني في اكثر المناسبات والنزهات وايام العطل ارتدي الملابس الكردية.

اكملت ام وشيار قصتها لصاحبتها شمسه:

-على اي حال لم يطيلوا الكلام والأسئلة معنا وكان يبدو انهم على عجل ولهذا القوا القبض على وشيار واخذوه معهم وذهبوا.

انتفضت ام وشيار قائلة:

–والله من كثرة خوفي على ضيفنا وزوجته ومن فرحتي بعدم وقوعهم في فخ الحكومة لم ابال وبعد فترة من خروجهم عدت الى رشدي وقلت في نفسي:

–يا لهفي على ولدي الحبيب. فكيف قادوه امام عيني وأخذوه من يدري ماذا سيفعلون به كيف سكت وكيف لم أمنعهم من ذلك وبعدها بدأت بالنحيب والبكاء من أجل ابني.

زفرت شمسه وقالت تشجع ضيفتها:

–في الحقيقة انك قد تملكت اعصابك في تلك الليلة وكنت شجاعة جداً.

نهضت ام وشيار وقالت يجب أن اعود الى البيت لأن ابنتي ستزورني اليوم مع أولادها ويجب أن أذهب لأهيء لهم شيئاً من الطعام.

جاملتها شمسه والحت عليها ان تبقى عندهم الى المساء ولكن ام وشيار غادرت البيت مع شكرها وتمنياتها الكثيرة وبعدها بدقائق غادرت شمسه ايضاً الدار وذهبت لتنفيذ وصايا رسالة ابنها التي وصلتها في ذلك الصباح.

اخبار خاتوزين كانت صحيحة لذلك بعد أيام قليلة من زيارة أم وشيار لصديقتها شمسه بدأت البلدية بتنظيف المدينة كلها والتحضير لأستقبال الزوار وبدأوا بنصب الأطواق المزينة بالمصابيح والأعلام وأغصان الأشجار وتزيين مباني الحكومة وشراء الخراف لذبحها تحت أقدام الملك الشاب الذي كان لايعرف

بما يجري حوله وكأنه فقط كان للفرجة والدعاية وكان ستاراً ليخفي خلفه خاله وأعوانه جرائمهم التي كانت ترتكب بحق الشعب.

في اليوم المقرر لوصولهم ومنذ الصباح الباكر بدأت فرق من طلبة المدارس الصغار تستعد للذهاب الى منتصف الطريق لأستقبال الملك وخاله الوصي وقد لقنوهم الأناشيد التي سينشدونها في الوقت المناسب من وصولهم وباشر المنتفعون والمقاولون والراقصون على الحبال بالذهاب بسياراتهم وملابسهم الثمينة التي تفننوا بعرضها في ذلك اليوم الى الأستقبال وكانوا يتبارون وكأنهم في مسابقة لتقبيل الأيدي ولثمها ولمسها وكانت الأحداث التي مرت قبل أيام على أبناء شعبهم وأبناء بلدهم وما تركت من هلع وخوف ومداهمات لم تحرك شعرة من رؤوسهم الخاوية ولم تحرك ذرة من ضمائرهم الميتة. بل بالعكس كانوا هم اكثر حقداً من الحكومة على الوطنيين في أحيان كثيرة كانوا هم الذين يحرضون الحكومة ويدلون جلاوزتها على الوطنيين وكان مثل هؤلاء الناس طبعاً مكروهين ومعروفين من قبل أبناء الشعب. وانهم الأقلية الصغيرة جداً غير ان بقية أهالي المدينة بدأوا يومهم كالعادة. الكبار ذهبوا الى أعمالهم ودكاكينهم والنساء وأطفالهن قبعوا في المنازل والكل يتميز غيظاً وغضباً من تلك الزيارة التي كانت سبباً لكل ما عانوه وما ذرفوا من دموع على أبنائهم الذين زجوا في غياهب السجون من دون أية جريمة ارتكبوها.

بعد رجوع الوصي وأعوانه من الزيارات التي قاموا بها الى كركوك والسليمانية بأسبوع من الزمن بدأت الحكومة بالأفراج عن المعتقلين والمحتجزين وبعد فترة عاد الناس الى وضعهم الطبيعي وعاد عزيز الى أهله وحمه الى مكان اختفائه في دار كاكه غفور.

الا ان عزيز اعيد القاء القبض عليه إثر عودته بعد ايام بسبب شارة حمامة السلام الصغيرة التي وجدوها في بيته وقدم للمحاكمة وافرج عنه بكفالة.

مع صدور حكم الأفراج عن عزيز عادت الطمأنينة والراحة لحد ما الى عائلة شمسه. ومع ذلك كانوا حذرين وخائفين والقلق يسيطر حتى على ضحكاتهم ولكن مع كل هذا كانوا يحاولون الأستفادة من أوقاتهم. فيخرجون في فترات الهدوء التي تسبق عواصف المداهمات والمطاردات يحاولون هم وكل الذين كانوا يعيشون في نفس الأوضاع كانوا يتحينون الفرص ويتزاورون ويتسامرون ويذهبون لزيارة اصدقائهم واقربائهم في المدن الأخرى كبغداد والموصل والبصرة أو غيرها وحيث كان البعض يقيم افراح الزواج والموالد النبوية الشريفة وحفلات الختان لأطفالهم وكل تلك الأفراح التقليدية الأخرى ولأنهم كانوا قد تعودوا على تلك الأوضاع وكان من غير المستبعد ان يلقى القبض على أحدهم حتى وهو مدعو الى حفلة زفاف او اي حفل فرح آخر وحتى في حالة دبكة ورقص لذلك كان الناس دائماً في انتظار تلك المطاردات وكثيراً ماكانوا يتوقعونها ولكن في كل واقعة من تلك الوقائع كان

يخيب فأل الحكومة لأن كل تلك الأعمال غير القانونية واللا انسانية التي كانت تمارس مع أبناء الشعب كان لها مفعول عكسي من حيث كره الناس للحكومة ويزداد الوطنيون ايماناً واندفاعاً وحماسة وكانت الجماهير الغاضبة تزداد التفافاً حولهم يوماً بعد يوم. وحتى بعض الفئات من أصحاب الوظائف الحكومية الكبيرة كانت متعاطفة معهم في الخفاء وكانت تنجز لهم بعض الأعمال كنقل أفراد مطاردين من مكان الى مكان أو نقل نشرات ممنوعة لأن سياراتهم لم تكن تخضع للتفتيش وكان البعض الآخر منهم وحتى في أروقة مباني الحكومة يخفون أوراق ونشرات لو عرفت الحكومة بها لأصدرت بحقهم أحكام الأعدام لعدة مرات بدل المرة الواحدة.

كان بيت كاكه غفور الذي يختفي فيه حمه يقع في أطراف مدينة السليمانية وبعيداً عن مركزها وضوضائها، وهو يطل على فسحة واسعة تحتوي على شجيرات وحشائش وأحراش، وكانت تلك المساحات من الأراضي

الشبيهة بالمراعي والبيوت التي بنيت هناك متواضعة جداً وكذلك سكانها وكان سبب لجوء الناس لتلك الضواحي هو رخص ثمن الأراضي في تلك المناطق وأكثر أصحاب تلك البيوت يمتلكون قطعاناً من الغنم والماعز والبقر والبغال ولذلك كانت في المساء تعود قطعان المواشي الى أصحابها بين ثغاء الأغنام وصفير رعاتها وحراسة كلابها الأمينة التي تحول دون ذهاب المواشي بعيداً أو تصعد التلال القريبة في بعض الأحيان كان منظر تلك البيوت

والمراعي والمواشي توحي للمشاهد بالقرى الجميلة وبالحياة البريئة فيها.

كان يوما من الأيام الباردة. وقد بدأ الذبول على الحشائش واصفر لونها وراحت الرياح تزمجر والعواصف في عراك ومناوشات دائمة مع الأشجار تحركها بعنف شمالاً ويميناً مبعثرة اوراقها ومطاردة السابلة هنا وهناك معلنة للناس بقرب وصول الشتاء ببرده وامطاره وثلوجه الكثيفة، وكان الناس ايضاً في نشاط يحتاطون لوصول ذلك الفصل المكفهر الوجه فكانوا يتسابقون الى تكديس المؤن من حنطة ورز وفحم وخشب وحتى السكر والشاي وكانت هذه مراسيم كل اهل كردستان وكل حسب ظروفه المادية في استقبال شتائهم القارص في ذلك اليوم استعد حمه للذهاب في المساء الى احد الأجتماعات الحزبية وكان ينتظر مجئ احد رفاقه لأصطحابه معه اذ كان ينتظر بفارغ الصبر تلك الأجتماعات لذلك كان يترقب تلك الفرص لخروجه وكأنه سيذهب لسفرة طويلة لأنه دائماً كالمسجون داخل احدى الغرف وفي كثير من الأحيان لايكلم او يلتقي أحدا احداً لساعات وربما لأيام وحسب الظروف. كانت زيرين زوجة كاكه غفور تتألم من اجله وتشفق عليه وتبكي في أحيان كثيرة وكانت تحدث نفسها:

-يالوعتي ويا أسفي ويالحزني على هذا الشاب. انظروا وجهه كيف قد اصفر وتغير لونه بسبب مكوثه طوال اليوم في الغرفة كالأسير وكالسجين اضافة لما يصيبه من الهلع والقلق كلما رن

جرس الباب. آه يا الهي انه الآن بأشد الشوق الى ان يرتاح لساعة او بعض ساعة وان يذهب الى الأسواق ولطول مكوثه في هذه الغرفة، فمن المؤكد انه يعرف كل شيء عن مساحتها وعن طولها وعرضها ولكثرة ما قطعها رواحاً ومجيئاً!

كانت زيرين تستيقظ من افكارها وتمسح دموعها وتقول في نفسهاثانية:

-شكراً لله على كل حال لو كان الآن لاسمح الله مرمياً في السجن او تحت التعذيب ماذا كنا سنفعل.

كانت تمسح دموعها مرة أخرى وتستغفر الله وتحمده وتبتسم ابتسامة خفيفة ثم تنهض لتعد له الشاي والطعام أو تبدأ بغسل ملابسه وكأنها تفعل ذلك ترضيه لوجدانها والألم الذي كانت تحسه من اجله. في تلك الأمسية وعند حلول الظلام وصل صديق حمه الى عنده لأصطحابه والذهاب معاً للأجتماع الحزبي الذي كان سيعقد في بيت احد رفاقهم، خرج الصديقان من الدار بهدوء تصحبهم تحذيرات كاكه غفور وابتهالات وادعية زيرين. تخطى الصديقان تلك المساحات الواسعة الشاسعة مشياً على الأقدام يتحادثان بهدوء كالوشوشة قطعوا ثلاثة ارباع المسافة الى بيت صديقهم وهم يحاولون قدر الأمكان الأبتعاد عن الأمكنة المسكونة. واخيراً وصلوا الى تلة صغيرة كان يجب ان يتخطوها ليصلوا الى مقربة من زقاق ذلك البيت. وبعد عناء تركوا التلة ايضاً خلفهم ووصلوا الى ساحة تحوطها بعض البيوت من جهتين ومن الجهة

الأخرى كان يطل على شبه واد لصرف مياه فيضانات الأمطار وأهالي البيوت المجاورة كانوا يقذفون بنفاياتهم خلسة وكانوا عندما يحاسبون من الجيران الآخرين كان كل واحد منهم يلقي التهمة على الآخر. وصل الصديقان الى تلك المساحة وعلى مقربة من ذلك الوادي فوجئوا بصافرات الشرطة تنطلق بأعلى صوتها وبضجيج الهرولة يسمع من كل الجهات وصراخ احدهم (قف! بلا حركة).

كان حمه وصاحبه يفكران بالهروب ولكن لاجدوى من ذلك لأن كل الأطراف محاطة بالشرطة ومن دون اية مقاومة القي القبض على حمه وصديقه مع كثير من المستمسكات والرسائل الحزبية.

اقتيد حمه وصديقه في الحال الى سيارة جيب تحرسها عدة مسلحات واتجهت بهم صوب سراي الحكومة الذي كان يطل على الساحة في قلب المدينة.

انتظر اصحاب حمه مجيئه مع صديقه ومشاركتهما في الجلسة وعندما طال الأنتظار بدا القلق ينتابهم ولذلك ارسلوا رفيقا لتقصي الأخبار ومعرفة السبب في عدم حضورهما وما الذي حصل لهما؟

انطلق المبعوث على عجل واخذ يطوي الزقاق ولم يبق أمامه غير عدة خطوات ليصل الى الساحة المطلة على ذلك الوادي، عندما احس بحركة غير عادية ازاء بعض البيوت وحيث كان أحد الرجال واقفاً عند باب بيته يضرب كفا بكف ويتأفف وحيث كان

في حديث مع جاره، أما النسوة فقد كن في حيرة من امرهن ويقطعن الطريق ذهاباً واياباً ومن هنا الى هناك ارتبك الرفيق المبعوث وأحس بأن شيئاً قد حدث ربما شجار بين الجيران أو ربما وقعت حادثة دهس أو اصطدام أو اي شيء آخر ولم يعن لذهنه قط نوع الحادثة الحقيقية.

اقترب من اول امرأة وسألها بلهفة:

-اختي ماالذي حدث أرى الزقاق مضطرباً وفي ساعة كهذه من الليل؟

ردت عليه المرأة بتأثر بالغ:

-الا تدري؟ لقد القي القبض على شخصين قبل قليل ويقولون انهما كانا من الوطنيين المطلولبن للحكومة؟

تسارعت ضربات قلب المبعوث وانتابت جسمه قشعريرة من الهلع وقال بأرتباك وتلعثم:

-متى وأين؟

قالت وهي تمسح دموعها:

-هنا في رأس هذا الزقاق ولكن كيف لم تسمع بذلك ألم تكن من سكان هذه البيوت؟ ان الشرطة كانت هائجة وصافراتها تصك الآذان.

أجابها وهو يمسح عرقه البارد عن وجهه وبصوت مرتجف وبشفاه يبست من الخوف على صديقيه خشية أن يعثروا بحوزتهم على أوراق ممنوعة. لذلك قال بتلعثم:

-لا مع الأسف لم اسمع شيء عن الذي تتحدثين عنه ولو انني لست من سكان هذا الزقاق وبيوته ولكن كنت مدعواً في بيت احد اصدقائي على العشاء ولكننا لم نسمع أو نحس بشيء ثم اخذ يضرب كفاً بكف واستدار بسرعة من حيث أتى ليخبر الأجتماع بأمر صديقهم عمَّ الأضطراب في الأجتماع واعترى المجتمعين القلق والذعر على مصير صاحبيهما، واخذوا يتشاورون بشأنهما وبطريقة خروجهم وتفرقهم فرداً فرداًوعبر جهات مختلفة وتوجه احدهم ليخبر عزيز وشمسه بالأمر حيث كان عزيز في ذلك اليوم غائباً عن المدينة لأمور اخرى ولم يستطع ان يحضر الأجتماع في ذلك البيت غير انه كان قد عاد ال بيته عند وصول الخبر الذي وقع على شمسه وعزيز وباقي العائلة كالصاعقة القاتلة وعلى الرغم من أن شمسه كانت دائماً شجاعة جداً وذات عزم وايمان في مثل تلك المواقف الا انها في هذه المرة كانت تبدو على شيء من الأنهيار وغير قادرة على السيطرة على اعصابها وذلك بسبب ما تعرفه عن ابنها ونشاطاته وكتاباته التي كانت تزعج الحكومة وتستفزها وتهيج الناس ضدها ولذا فأنها على معرفة لما يمكن أن يكون من الأهمية لهذا الحادث بالنسبة للحكومة وكيف يعد نصراً لأجهزتها القمعية، وما يمكن أن تتصرف اجهزتها القمعية في مثل هذه الحالات. أما عزيز ورغم انه كان يحاول تهدئة والدته وتقوية عزمها لكنه كان قد اصيب هو الآخر بالقلق والأكتئاب والحزن لأدراكه لما يمكن ان يكون لهذا الموقف من خطورة على شقيقه وصديقه واما

غفور وزيرين فلم يكن الذي أصابهما عند سماعهم النبأ أقل مما اصاب شمسه وعزيز وعائلة ذلك الصديق الذي كان اسمه (فرهاد) لم تنم تلك العوائل الى الصباح غارقين في القلق ومع بزوغ الفجر وبزوغ شمس الصباح تلقفت شمسه عباءتها وهرعت مسرعة نحو السراي لتسأل عن ابنها وصديقه وعند وصولها قرب السراي دلفت بسرعة نحو باحته حين رأت من بعيد سيارة جيب للشرطة متوقفة. وخولها افراد الشرطة. فيما الآخرون من رجال الأمن في حركة دخول وخروج من الباب الداخلي الى الباحة اقتربت شمسه منهم وسألت عن أحوال ابنها وصديقه وخاصة عندما رأت شرطياً من معارفها بينهم قبل أن يجيبها لمحت حمه مع صديقه يخرجان من الباب الداخلي للسراي بصحبة رهط كبير من أفراد الأمن والمعاونين والشرطة وهما مكبلان بقيود حديدية ويقتادان نحو سيارة الجيب، لفت شمسه عباءتها على جسمها وأخرجت يديها الأثنين منها وصوبتها نحو الرهط بحركات عصبية والشرر يتطاير من عينيها وقالت:

-انظروا انظروا وشاهدوا بالله عليكم عشرين او اكثر من الشرطة المسلحين يحيطون بشخصين أعزلين ثم واصلت كلامها بشماتة وسخرية!:

ان القاتل وحده يحيط به هكذا رهط من الشرطة وليس من هو مثل ابني وصديقه ولكن أنتم من أنصار القتلة والقتلة منكم وانتم تتسترون عليهم ولم تفعلوا بهم كما تفعلون الآن.

التفت حمه صوب أمه واقترب منها ووضع يديه المكبلتين فوق ظهرها وقال وهو يرسم على شفتيه شبح ابتسامة ليهدئ قليلاً من روعها وقال:

-لا لا ياامي منذ متى كنت هكذا (خوافة)؟ لاتهتمي بالأمر وعودي الى البيت. انني سأزعل منك ان لم تهدئي وتعودي الى البيت.

صرخت شمسه كالمجنونة وقلبها يكاد ينخلع من بين ضلوعها من شدة الخفقان ويداها كانتا باردتين كالثلج وترتجفان حين توجهت بكلامها الى ذلك الرهط الكبير من الشرطة:

-اريد أن تخبروني الى اين ستأخذوهما، الى اين؟

أجابها أحد أفراد الشرطة بشيء من الحدة:

-سنأخذهما الى الموصل. اهدئي اهدئي اذ لا فائدة من هذا الصراخ وهذه الضجة التي تفتعلينها.

همس له احدهم بالسكوت وقال:

-دعك مما تقول لاتنسى انها ام.

اجابته شمسه بحدة مماثلة:

-انني لم افتعل اي ضجة ماذا؟ هل ازعجك كلامي او خفت منه؟

عندها امروا حمه وصديقه بالصعود الى السيارة. جلس حمه وصديقه في الوسط وما بين اثنين من افراد الشرطة وجلس فرد آخر في المقعد الأمامي من السيارة الى جانب السائق.

نظرت شمسه الى ابنها وقالت بتحد:

-اذهب ياحبيبي اذهب لترافقك السلامة وليحرسكما الله ثم ابتسمت بسخرية وقالت وهي تحرك يدها بعصبية وتوجه الكلام للرهط الواقف:

-خاب ظنكم وخاب فألكم انكم بهذا العمل تحسبون انكم قد قضيتم على الوطنيين؟

ان اخذتم حمه اليوم فسيظهر غداً مئة حمه بدلاً عنه. تأخذون فرهاد فسيظهر غداً مئة فرهاد عوضا عنه قسماً برؤوسهم لقد حفرت لكم حفراً لن تخرجوا منها ابداً وليس لكم سوى الخزي والعار.

وبهدوء حزين وجهت الكلام لأبنها:

-اليست معك ملابس وأشياء خاصة ايضاً؟

أجابها حمه:

-لاتهتمي بذلك وعودي الى البيت معي نقود سأشتري كل ما أحتاجه.

التفتت شمسه نحو فرهاد وقالت:

-عزيزي فرهاد هل معك نقود؟ هل تود ان اوصل أي شيء يجول في خاطرك لأهلك؟

اجابها فرهاد:

-شكراً يا عمتي لاتهتمي ولاتزعجي نفسك، لدينا نقود وسندبر امورنا وارجوك ان تخبري والدتي بما قلته لك الآن.

ارتفع هدير محرك السيارة وتحركت نحو الشارع الرئيسي يتبعها عدد من السيارات المسلحة المملوءة بأفراد الشرطة.

احست شمسه كأن الدنيا تتحرك تحت قدميها وان الكون قد اسود في عينيها ولهذا انفجرت في صراخها ضد الحكومة تقول ماتريد ان تقوله دون اي خوف او حذر.

كان الناس في ذلك الصباح الباكر مازالوا في بيوتهم ما عدا الذين كانت اعمالهم تحتم عليهم خروجهم من البيت في مثل تلك الساعة واكثرهم كانوا من العمال القرويين الذين عليهم ان يصلوا المدينة مبكراً لبيع منتوجاتهم من الخضروات والألبان او الخشب والفحم الذي كانوا يجيئون به من الجبال ليبيعوه لأهل المدينة.

تجمع هؤلاء المارة حول بعضهم وكل يهمس للآخر عن الذي حدث كان بعضهم يتأفف بأسف ويحاول معرفة سبب هياج شمسه وكان واثقاً من حدوث شيء من اعمال الظلم والقساوة والقمع التي كانت من شيم الحكومة.

بعد ان تحركت سيارة حمه والمسلحات التي تتبعها هرعت شمسه بسرعة نحو كراج السيارات القريب من السراي وسألت احد معارفها من السواق وبعد دقائق كان شمسه وخوله داخل السيارة وهم في طريقهم الى البيت ودلفت شمسه بسرعة الى البيت واخبرت عزيز بما حدث وما شاهدت وبسرعة فائقة تلقفت بعض الأشياء الخاصة بها واخذت نقوداً ونبهت ابنها وتريفه الى بعض الأشياء وخرجت مسرعة مع خوله الى السيارة التي كانت لاتزال في

انتظارها امام الدار بدأت السيارة تقطع الطريق وتطويه تحت عجلاتها وهي متجهة الى كركوك محاولة اللحاق بسيارة الشرطة التي كان يستقلها حمه وصديقه. اخيراً تمكنوا من اللحاق بهما ومتابعتهما في السير. وصلت سيارة الجيب والمسلحات الى مدينة كركوك وعبرت الجسر اتجهت الى بناية دائرة الأمن ودلفت السيارات جميعها الى باحة البناية على بعد خطوات من الدائرة وقفت سيارة شمسه في احد الأركان وعندها نزلت هي لوحدها وذهبت صوب الباب الرئيسي للدائرة. استوقفها الحارس وقال لها:

-اختي اين وماذا تريدين؟

اجابته شمسه بأنكسار وقد كان التعب والأرهاق والحزن بادياً على محياها وهيئتها:

انا أم هذا المعتقل الذي جاؤوا به الآن داخل هذا الجيب ستنال كثيراً من الثواب ان افسحت لي الطريق لأذهب لرؤيته ولأسأله عما اذا كانت معه نقوداً.

اجابها الشرطي الحارس بصوت هامس:

-هل جئتم من السليمانية؟

قالت شمسه بصوت تخنقه العبرات:

-نعم.

سألها الحارس وقد بان التأثر على وجهه:

-كيف جئت وبماذا؟

مسحت شمسه دمعتها مشيرة الى السيارة:

-بهذه السيارة.

قال الحارس:

-انتظري لحظة وسأعود اليك حالاً.

قال هذا ودخل الى مبنى الدائرة ومنها الى غرفة المعاون المسؤول وقف الشرطي بعد أداء التحية وقال للمعاون:

-سيدي ان والدة أحد هذين المسجونين واقفة على باب الدائرة وتريد أن ترى ابنها لتعطيه بعض النقود.

كان المعاون منهمكاً في تقليب الأوراق والملفات وكأنه يريد أن يعثر على ورقة او وثيقة فقدها ولهذا ومن دون أن يرفع راسه قال للشرطي:

-قل لها ممنوع دعها تعطيك ما تريد واذهب وسلمه للسجين.

قال الشرطي بذل وإنكسار:

-سيدي انها والدته وقد جاءت من السليمانية لهذا الغرض.

قال المعاون بشيء من الحدة وهو مازال منهمكاً بتقليب الأوراق ودون أن يرفع راسه.

-إذهب وافعل كما قلت لك!

عاد الشرطي الى شمسه وقد بدأ عليه التأثر:

-اختي يقولون بعد ساعة تتمكنين من المجئ لرؤيته وأعطاءه ماتريدين.

مسحت شمسه دموعها بطرف شالها القطني الشفاف وردت بحزن وكآبة.

-اتظن انهم سيعطونهم شيئاً يأكلونه؟

اجابها الشرطي بحرارة وكمن يريد تهدئة خاطرها:

-وكيف لا؟ طبعاً يا اختي إنهما الآن في غرفة الدائرة ليرتاحا ويغتسلا وقد ارسل المسؤولون من يأتيهم بالخبز والكباب والشاي من المطعم وهم ايضاً يتمكنون أن يرسلوا أي شخص ليشتري لهم مايريدون.

اطمئني يا اختي واذهبي لترتاحي وبعد ساعة عودي الى هنا وسترينه انشاء الله.

عادت شمسه كسيرة القلب دامعة العين حزينة الى السيارة التي تنتظرها وبلهفة هب السائق عبدالرحمن وابن أخيها خوله وسألاها وقد بدا عليهما الكثير من الأهتمام لسماع ماقامت به.

-خيراً ماذا حدث هل رايته؟

أجابتهما شمسه بصوت تخنقه العبرات:

-لا قالوا ارجعي بعد ساعة.

قال السائق بحرارة محاولاً اعادة الثقة الى نفسها:

-ارجو ان تهداي فأنا لم اتعود على رؤيتك وانت في مثل هذا الحال ابداً. انك دائماً كنت بطلة وشجاعة وشهمة سلمي امرهم الى الله سبحانه وتعالى فأنه اعظم واكبر من كل حكومات الدنيا تأكدي ان اي مسؤول حكومي مستبد سيكون ذليلاً مكتوف اليدين أمام

اي نازلة يصيبه الله بها ولهذا كوني متفائلة وقوي عزيمتك. اكمل عبدالرحمن كلامه وقال هو يبتسم ابتسامة مصطنعة الآن قولي لنا الى اي مكان تودين ان نذهب لنرتاح ونأكل مايسد رمقنا ونشرب قدحاً من الشاي او اكثر فكما تعلمين فنحن لم نفطر الى الآن ونحن جياع، قال عبدالرحمن هذا لعله يتمكن ان يضغط على شمسه لتأكل شيئاً.

أجابته شمسه ودموعها مازالت منهمرة:

-امنت بالله فكما تعلم انني امراة مؤمنة، وقد تعودت على الهموم والمصائب. سكتت شمسه لحظة لأن العبرات كانت تحول دون استرسالها في كلامها ثم اكملت:

-انني في هذه المرة خائفة جداً على حمه لأنهم كما تعلم كانوا يتعقبونه بشدة وبلا هوادة. ان قلبي يخبرني بأن حمه في هذه المرة لن ينجو منهم ولن يخرج سالماً من بين أيدي هؤلاء الطغاة القتلة.

انتفض خوله من مكانه قائلاً:

-ما هذا التشاؤم ياعمتي ان شاء الله ستكون هذه الحادثة مثل الحالة السابقة وسيفرج عنه واضاف محاولا تهدئة هواجس عمته:

-اتظنين ان كاكه عزيز واخوانه سيبقون هكذا ساكتين؟

انهم الآن حتماً قد حاولوا الأتصال بأصدقائهم من الشخصيات الكردية والعربية من الوطنيين وسيحاولون هم أيضاً بدورهم الضغط على الحكومة للأفراج عنه فلا تقلقي هكذا ودعينا نذهب

الى مكـان لنرتـاح انـني سـأموت جوعـاً. نظـر خولـه الى كاكـه عبدالرحمن السائق وقال:

-هيا كاكه عبدالرحمن خذنا الى أحد هذه الفنادق القريبة.

قال عبدالرحمن بمرح مصطنع:

-امرك كاكه خوله. اظن من الأحسن أن نذهب الى اقرب وافضل مكان وهو فندق شهرزاد.

وصل ثلاثتهم الى الفندق وجلسـوا في ركـن هـادئ مـن صالتـه الفسيحة. وكانت شمسه مازالت شاردة البال دامعة العين.

قال لها عبدالرحمن:

-ارجوك ان تكفي عن البكاء. لأنك لو بقيت على هذه الحالة فمن الأحسن ان نعود ونجلس في السيارة. فما جدوى مجيئنا الى هنا وانت على ما انت فيه الم اقل لك سلمي أمرهم الى الله وان الله مع الصابرين.

قالت شمسه وهـي تحـاول تهدئـة نفسـها وذلـك اشـفاقاً علـى مرافقيها اللذيـن كانـا يتألمـان في نفسـيهما ويصطنعـان الهـدوء والمرح في بعض الأحيان من أجل تخفيف آلامها:

-ارجو المعذرة انني قد اتعبتكما معي ولكن الأمر ليس بيدي فأنا لم أتمكن من التغلب على عذابي وآلامي، ففي هذه المرة أشعر بالضعف والأنهيار لشدة قلقي وخوفي على حمه لأنكم كما تعلمون يكرهونه جداً وكان كل همهم هو القاء القبض عليه.

هب عبدالرحمن وقال بعزم:

–دعيهم يكرهونه ان كرههم له ميدالية فخر واعتزاز له عند أبناء شعبه. فكما تعلمين ان شدة عدائهم له علامة إخلاصه ووطنيته.

انتفض خوله قائلاً بأبتسام وتحد:

–ايهما أحسن؟ أن يكون الأنسان مكروهاً من حكومة خائفة. أو ان يكون مكروهاً من ابناء وطنه؟

تعاون كاكه عبدالرحمن وخوله في اعادة شيء من عزيمتها وقوة ارادتها ولم يتركوها الا وهي تمديدها لأخذ قدح الشاي من يدي أحدهما لتشربه مع قطعة الكباب التي اعدها لها ابن أخيها خوله.

واخيراً هبّ الثلاثة قائمين وهم ينظرون الى عقارب الساعة وهي تشير الى مرور ساعة واحدة على وصولهم للفندق لذلك اسرعوا الى الذهاب بسيارتهم الى المكان السابق قرب دائرة الأمن. توجهت شمسه ثانية الى الدائرة فاذا بالحارس يدعوها الى الدخول قائلاً بهمس:

–لقد انتهت مدة حراستي وكان يجب أن اذهب الى البيت ولكن بقيت هنا لأجلك خوفاً من أن يأتي غيري ويمنعك من الدخول.

شكرته شمسه بهدوء ودعت له بطول العمر ودخلا الى باحة الدائرة كان حمه وصديقه واقفين أمام سيارة الجيب مع عدد كبير من أفراد الأمن والشرطة.

عندما شاهد حمه والدته هب منفعلاً وخاطبها قائلاً:

-امي، اخيراً اتيت الى هنا ولم تنصتي لكلام أحد؟ يالك من غاوية لتعذيب نفسك ولم ترحميها قط، والآن من اتى بك الى هنا ألم اقل لك بأني سأبعث لك بالرسائل؟

حاولت والدته ان تكون طبيعية وصامدة لئلا يحزن ابنها ويتألم لذلك أجابته بأبتسامة وقالت:

-كيف لا آتي فأنا أريد أن أطمئن الى الجهة التي سيرسلونك اليها.

أجابها أحد افراد الشرطة الذين صحبوا ابنها من السليمانية:

-الم نقل لك سنأخذه الى الموصل.

اجابته شمسه وهي تحاول شد أعصابها:

-وثم ماذا؟ لايهم ان ارسلتموه الى الموصل أو البصرة فأني سأرافقه الى كل مكان.

رد حمه على والدته وهو يحس بما تعانيه وقال لها منفعلاً ومشفقاً عليها في نفس الوقت:

-يا أمي أرجوك أن تعودي الى البيت وتكفي عن هذه الأعمال.

ابتسمت شمسه لقوله وتحدثت مع نفسها ومن دون أن يسمعها ابنها:

-قل ماتقوله فوالله ستكون خطوتي مع خطوتك!

أحاط الشرطة بالسجينين وأمروهما بركوب سيارة الجيب وتهيأ الآخرون وبدأت أصوات اغلاق ابواب السيارات المسلحة تسمع مع هدير المحركات وبدأ الركب بالسير. سيارة تتقدم سيارة

المسجونين وأثرها سيارتان مسلحتان أخريان وسيارة شمسه تتبعهم.

توجه الركب نحو الشارع الرئيسي واخذ يخترق المدينة كانت الساعة نحو الثانية عشرة ظهراً والناس في حركة دائبة كل في اتجاه وكل ساع للوصول الى مبتغاه واللهفة وراء ادامة العيش والحياة.

عند مرور تلك السيارات المعروفة لكل الناس ومنظر المسجونين والشرطة الذين حولهم أثار الأنتباه فقال أحدهم لصاحبه بصوت خفيض:

-يا الله يا فتاح يا رزاق. لايمر يوم دون أن يشاهد الأنسان مثل هذه المناظر المقلقة التي تقبض النفس وتجعل الناس يعيشون في كابوس وفزع من بطش هذه الحكومة المجرمة بينما كان شخص آخر يمشي وحده وهو يكلم نفسه:

-لاحول ولا قوة الا بالله. انظروا بالله عليكم كيف أحاطوا بهذين الشابين المسكينين والله وحده يعلم ماذا سيكون مصيرهما.

وكان ثمة آخرون يشيعونهما بنظرات تطفح بالأسى وتكاد العبرة تفضح مشاعرهم وخاصة النسوة منهم وكان بينهن من أخذت تشتم الحكومة وتنعتها بأبشع النعوت المخزية وتبتهل الى الله من أعماقها أن ينتقم منهم بسبب هذين الشابين اللذين لاحول لهما ولا قوة انهما مكبلا الأيدي هكذا بدون اي كلام او مقاومة وثمة من كن يمشين مع معارفهن وتقول احداهن بصوت عال:

-انظري انظري انهما كرديان وهما حتماً من الوطنيين. ان قلبي يكاد يتقطع لهما. ليكن الله في عون والدتيهما وعوائلهما انظري وحتى في السيارة أحاطوهم إحاطة السوار بالمعصم ان افراد الأمن هذه الأيام قد احتلوا الشوارع والأزقة والمقاهي بحيث لايتمكن الفرد ان يتنفس الا في الخفاء وأخرى كان قلبها يهبط من الفزع وهي تستعجل خطاها لتصل الى البيت ولتحذر أبناءها وأخوتها:

-كونوا حذرين بالله عليكم ولاتخرجوا اليوم من البيت يظهر ان الحكومة قد سمعت شيئاً وبدأت بالمداهمة والقاء القبض على الوطنيين وبين المارة من كان يمشي ومن دون ان يعي شيئاً مما يحدث لأنشغال فكره بالموضوع الذي يذهب من أجله لذا لم يكن يجلب نظره او يحس بأن القافلة التي مرت من أمامه هل هي قافلة شرطة تعتقل مسجونين ام قافلة مواد بناء أو حتى بضائع زراعية وكان واحد ممن يصحب صديقه قد لفت نظره منظر السيارات ومنظر المسجونين ورؤوس الشرطة من حولهم فقال لصاحبه:

-عسى أن تنهار هكذا حكومة. يظهر انها غير مقتنعة بأنها مهما رفعت من تشددها وتعسفها وكبتت أصوات مواطنيها فأن معارضيها وأعدائها سيكونون في ازدياد يوماً بعد يوم ثم اتم المتكلم حديثه:

-ولأبدأ من شخصي تعرف انني كنت محايداً ولا دخل لي بأي عمل سياسي ولم انتم لأي حزب أو أية جماعة غير اني كنت في

بعض الأحيان وعندما اسمع او اشاهد حادثة كالتي مرت امامنا الآن اتذمر. ولا اكتم امتعاضي عندها اخذ اولاد الحرام من أفراد الأمن يحومون حوالي لعلهم يجدون شيئاً ضدي. ولما كنت محايداً وغير سياسي لم يتمكنوا من العثور على أي دليل لإدانتي الى أن قتل ذلك الشخص من محلة (شاترلو) وفجأة القوا القبض علي بتهمة المشاركة في قتل ذلك الشخص الذي كنت لا اعرف حتى اسمه وكما تعلم زجوني في السجن وما زالت آثار التعذيب بادية على جسمي. لذلك اقسمت واخذت عهداً على نفسي أن اكون عدوهم الى آخر قطرة من دمي وآخر لحظة من حياتي. انهم اغبياء وبدلاً من أن يكونوا اناساً حكماء يعاملون الشعب بالعدل والأنصاف ويكسبون قلوبهم ويرحمونهم فعلى العكس من ذلك فهم يحكمون الشعب بالظلم والحديد والسجون.

لينتظروا يوم يفيض غضب الشعب وينفذ صبره ويقلبون الدنيا على رؤوسهم عندها سيعضون اصابع الندم ويا ويلهم من ذلك اليوم والتجربة اكبر برهان وها هو شعب مصر امام اعيننا وكذلك شعب الجزائر وغيرها من الشعوب التي كان حكامها يستهترون بحقها نحن نراها اخيراً كيف ثارت لكرامتها المهدورة وانها على استعداد للتضحية بالغالي والنفيس في سبيل حريتها.. كانت السيارات الأربع لاتزال تقطع المسافات في سيرها متجهة الى طريق اربيل تتبعهم سيارة شمسه مع ان حمه كان يرغب أن يظهر بمظهر غير المبالي بالأمر مع ذلك كان قد غلب عليه هدوء كئيب

وخاصة عندما كانت امه تتراءى أمام عينيه بهيئتها المرتبكة ووجهها الحزين وبما كان يعلم ما تحسه من الم وقلق. كان يلوم نفسه من الداخل ويحس بأنه هو سبب كل هذه الآلام التي تعانيها، كان حمه في صراع مع نفسه حين كان يفكر بأمه وأحزانها وحين كان يفكر في أبناء شعبه المضطهدين والمحرومين من أبسط الحقوق المشروعة. وكيف تهان كرامتهم وانسانيتهم من قبل حفنة من الحكام المستهترين والعملاء الذين لايهمهم من أمر شعوبهم سوى ارضاء اسيادهم وارضاء مآربهم الشخصية على حساب تعذيب الآخرين وقمع حرية الشعب.

لذلك كان حمه ينتفض من خياله وينسى في الحال دموع وأحزان امه ويعزز قوة ارادته وهو جالس وسط ذلك الرهط من الشرطة مكبل اليدين. يحلف ويتعهد ويتوعد بأنه سيكون مثلما هو اكثر ولن يتأسف أو يلين مهما وقع له الى أن يحقق ما بنفسه من اجل سعادة شعبه.

كانت السيارات تقطع الطريق وحمه وصديقه في سيارة الجيب جالسان بجانب بعضهما البعض صامتين ويد كل واحد منهم مكبلة مع يد الشرطي الجالس الى جانبه.

كان حمه يجول ببصره من خلال زجاج السيارة الأمامي ويعتريه شيء من الأنشراح وهو يشاهد المناظر على جانبي الطريق الذي كانت عجلات سياراتهم تطويه وتنهبه نهباً وخاصة منظر لهيب النار المتصاعد من آبار نفط (بابا كركر) السخي

المعطاء الذي كانت تتدفق خيراته من سنين طويلة لأكرام واسعاد أهل وسكان اراضيه ومع ان تلك الخيرات كانت تذهب لملء جيوب المستبدين. لايرى البائسون من حوله سوى لهيبه وبعض القناني منه لأحتياجاتهم المنزلية. ومع هذا كان اللهب المحبب يجعل من سكان الساحات التي تحيطه وكأنهم في حفلات أعراس وأعياد دائمة بما يشيعه من دفء وحرارة وطمأنينة في قلوبهم.

كان حمه في بعض الأحيان يختلس النظرات الى صديقه وكأنهما كانا يتكلمان بالنظرات والعيون أحاديث ذات شجون يفهمها كل منهما حتى لكأنهما كانا يقولان لبعضهما:

-ما هو الذنب الذي اقترفناه. وما الجريمة التي ارتكبناها هل قتلنا او سلبنا أحداً؟ هل تاجرنا بالحرام، واعتدينا على حرمة الآخرين؟ لا لم نفعل اي شيء من هذا القبيل أننا فقط وفقط ننادي بالحرية. حرية شعبنا المقهور واثبات هويته وكرامته المهدورة وهو ذلك الشعب العريق القديم قدم ارضه وجباله وارض أجداده وآبائه من آلاف آلاف السنين والذي جاء فيما بعد المستعمر وقسمه ووزعه على هواه وحسب مصالحه. أمن الحق والأنصاف أن نكون الآن هكذا مكبلين ومحاطين بكل هؤلاء الأزلام والمسلحين لأن جريمتنا هي المطالبة بحقوقنا المشروعة فلماذا هذا يعد جرماً وخطيئة لاتغتفر ويكون جزاؤنا السجن والملاحقة والتعذيب؟

كانت سيارة كاكه عبدالرحمن مستمرة في اللحاق بالسيارات الأخرى والسير خلفها ولو انهم في بعض الأحيان كانوا يفترقون عن بعضهم البعض خاصة حين كانت احدى السيارات المارة في الطريق تنحشر بينهم او تصادفهم بعض المنعطفات والطرق الملتوية والمتموجة. كانت شمسه جالسة لوحدها في المقعد الخلفي للسيارة. وخوله بجانب كاكه عبدالرحمن السائق حيث كانا يتكلمان بهمس مع بعضهما عسى ان شمسه تهدأ وتنام قليلاً.

كانت شمسه ذاهلة تأخذها الأفكار من ألف فكرة لألف فكرة وكانت عينها لاتفارق ركب السيارات التي كانت تتبعهم وفي بعض المنعطفات والطرق الملتوية كانت تفلح في رؤية سيارة الجيب التي كان ابنها جالساً داخلها وفي تلك الحالة كان يغمرها شعور غريب ممزوج بشيء من الطمأنينة وشيء من الحسرة والألم كانت تفكر وتفكر بحمه بكلامه بضحكاته وقفشاته بزعله وثورته كانت تتذكر طفولته وصباه وكان يجري كل ذلك عبر مخيلتها كالفلم السينمائي وفي أحيان اخرى كانت تغمض عينيها وتغفو لدقائق وتهب صاحية على صوتها وهي ثائرة هائجة تلعن الحكومة وأزلامها.

وتعدل شمسه من جلستها وتحاول استعادة هدوئها وتستغفر الله وتبتهل اليه ان لا تكون كل هذه الصورة المضطربة الا حلماً كانت تراه وهي غافية. في احدى المرات عندما فزت شمسه من احدى غفواتها الآنية السريعة بسبب مطبة من المطبات. كانت

لاتزال بقية من ابتسامة عالقة بثغرها لأنها كانت في مناقشة مع ابنها حمه تحثه وتتحايل عليه ليأكل الطعام الذي كانت قد أعدته له.

أخذت شمسه تتمتم ببعض الآيات والأدعية وهي تمسح دمعة ساخنة كانت منحدرة على خدها الذابل وقالت في نفسها ياله من حلم جميل وليتني لم أصح منه الى ابد الأبدين واخيراً وصل الركب الى مدينة الموصل وكان الوقت ليلاً سارت السيارات الواحدة تلو الأخرى تشق شوارع مدينة ام الربيعين العريقة بأبنيتها القديمة والمرصوصة ومساجدها التي لاتعد ولاتحصرا لكثرتها. واخيراً هدأت السيارات وخفضت سرعتها وبدأت تدخل الى الباحة الواسعة للسجن الرئيسي وتوقفت هناك. وبعد ان عرفت شمسه العنوان والسجن وبعد المشاورة مع كاكه عبدالرحمن وخوله عادوا أدراجهم الى داخل الدينة وبعد مدة وصلوا الى زقاق قديم ووقفت سيارتهم هناك وعندها نزلوا منها واتجهوا صوب أحد البيوت التي كانت تتميز عن بيوت جيرانها بكثرة شبابيكها الخشبية والحديدية الجميلة وحجم مساحة بنائها القديم ذي الطابقين والرخام الأبيض المنقوش الذي كان يزين واجهته.

بعد طرقات خفيفة على الباب فتح من قبل أحد ساكنيه وما ان شاهد شمسه حتى التفت الى الداخل واخذ ينادي بحرارة وشوق:

-أسرعي يا امي أنها الخالة أم عزيز.

وماهي الا لحظات حتى هرع أهل الدار يستقبلون شمسه ومرافقيها بحرارة وحب بالأحضان.

كانت تلك العائلة من أهالي الموصل الطيبين وكانوا من معارف شمسه القدامى حيث كان رب الأسرة في حينه موظفاً في احدى الدوائر الحكومية في مدينة السليمانية يومذاك كانت شمسه لاتزال صبية ومتزوجة لتوها وكذلك زوجه الموظف ايضاً اذ كانت في نفس سنها وقد تزوجت حديثاً وكانوا جيراناً لدار والدي شمسه ولهذا توطدت الصداقة بين العائلتين كثيراً وكان والد شمسه ووالدتها يحبونهم جداً ويساعدونهم في كثير من امورهم ولايبخلون عليهم بأي شيء وكانوا طوال تلك المدة في السليمانية كانت أوعية اللبن الرائب والزبد الطري اللذيذ والخبز (الرقاق) تتدفق من بيت والد شمسه حيث كانت لديهم قطعان من الماشية والأغنام ولهذا عندما ابتعدوا عن بعضهم أيضاً بقيت أواصر المحبة والصداقة تشد بينهم ولم تكن تمضي مدة قصيرة الا وشمسه في طريقها الى الموصل أو أم علي وأبو علي في طريقهم الى السليمانية ولهذا كبر اولادهم وصاروا رجالاً وهم على نفس المودة التي تشد العائلتين ولم يكن لبعد المسافة بينهما وبين مدينتهما ان ينال من عمق العلاقة التي بينهم آباء وأبناء.

بعد دقائق من الأستراحة تساءل واحد من المضيفين وبشيء من القلق عن سبب حزن وارتباك شمسه فقصت عليهم ما وقع لها ولأبنها والظروف التي مرت بهم وسبب مجيئهم.

انتفض رب الأسرة الذي كان من اعز اصدقاء عائلة شمسه وقال بحرارة مطمئناً:

-لاتحزني ولاتهتمي ولو انني الآن كما تعلمين متقاعد واقضي اكثر وقتي في البيت، ولكن لي من أقربائي واصحابي واصدقاء اولادي الكثيرون وعلى جميع المستويات ولبعضهم اليد الطولي وسيتمكنون من أن يساعدونا فلا داعي لتعظيم همومك وردي سكينتك الى نفسك.

فرحت شمسه من كلام صديق عائلتهم الوفي وانشرحت اساريرها قليلا وارتاح قلبها واخذت تتناول الطعام وتشرب الشاي تحت الحاح اهل الدار الذين كانوا يحبونها بصدق واخلاص. خاصة صديقتها الحميمة ربة البيت زبيدة خانم او كما كانوا ينادونها بأم علي.

بعد الأستراحة وتناول الطعام استأذن كاكه عبدالرحمن وذهب لحاله بعد ان اطمأن على شمسه وتركها هناك مع خوله وشجعها ونصحها وهنأها على مالديها من أصدقاء اوفياء كهذه العائلة الكريمة الذي كان هو بدوره يعرفهم ويتردد عليهم مع شمسه عند زياراتها لهم وذهابها للأستجمام معهم الى (حمام العليل) والنزهات الأخرى.

بعد اسبوع من مكوث شمسه في ضيافة معارفها في الموصل تمكنت من زيارة ابنها في السجن مع مضيفتها وخوله حاملين له انواع الأطعمة والهدايا.

كان قد اطمأن قلب شمسه بعض الشيء وخاصة عندما رات ابنها وجلست معه لساعات وكل ذلك بفضل مساعي ووساطات مضيفيها ونفوذهم واحترامهم لدى بعض من كان بيدهم الأمر.

بعد تلك الزيارة بأيام عاد الأبن الأكبر للعائلة الى البيت في المساء وهو متجهم الوجه وقلقاً بعض الشيء ولكنه اصطنع المرح والأبتسام عندما التقى شمسه وهي متلهفة على اخبار ابنها وكان ذلك الأبن يشغل وظيفة كبيرة في احدى الدوائر الحكومية. وكان عند عودته الى البيت في كل مساء يلتقي شمسه ويطمئنها ويوضح لها ماقام به ويحدثها عن اتصالاته وسعيه من أجل ابنها والوعود التي قطعوها له لمساعدته. ولكنه في ذلك المساء كان على غير ما هو في الأيام السابقة ولهذا اتجه مباشرة الى والديه ووشوش لهما بعدة كلمات في الخفاء مما انعكس على وجهي والديه واصفرار لونيهماوانتابتهما حالة من الأرتباك وكل منهم يحدث الآخر عما يمكن أن يحدث:

-ما العمل اذاً، ومان يطاوعه قلبه ليخبر هذه المسكينة بالأمر حتماً انها سترتاب كثيراً وستعلم ان في الأمر شيئاً غير عادي واخيراً وحين لم يعد امامهم مجال اكثر للتفكير اضطرت ام علي او زبيدة خانم أن تتصنع المرح والأبتسام وتهرع نحو شمسه وتخبرها ان ابنها علي نسي ان يخبرها بأنه استطاع ان يحصل لهم على موافقة لزيارة حمه من السجن غداً صباحاً. فرحت شمسه لذلك واخذت تبتهل الى الله ان يحقق لهذه العائلة الكريمة كل ما يتمنونه بسبب

هذا الأهتمام وما يعانونه بسببهم. التفتت زبيدة خانم الى ابنها وقالت:

-الحق يقع عليك يجب ان تعوضه عن ذلك.

ضحك علي وقال بمرح من أجل ان لاتشعر شمسه بشيء غير عادي وقال:

-لاتهتموا بذلك فإنشاء الله سيعوضه الله عن كل شيء. انني قد تمكنت من أحصل على الموافقة الرسمية لهذا اللقاء من احد أصدقائي بالصدفة ولهذا اذهبوا في الصباح الباكر لمقابلته دون تأخير حيث انها فرصة لاتعوض كما يقولون. في صباح اليوم التالي وفي الموعد المحدد استقلت زبيدة خانم وصديقتها شمسه وخوله احدى السيارات واتجهوا صوب السجن الكبير.

تقدمتهم زبيدة خانم الى باحة السجن واخرجت ورقة صغيرة من محفظة يدها وقدمتها للحارس. القى الحارس نظرة سريعة على الورقة وفسح لهم المجال للدخول. حيث رافقهم احد أفراد الشرطة وبعد دقائق من المرور بالباحة الكبيرة واجتياز عدة ممرات ادخلهم الشرطي احدى الغرف وقال:

-انتظروا هنا.

بعد نصف ساعة من الأنتظار الممل دخل حمه مكبل اليدين بصحبة أحد أفراد الشرطة وقبل أن يغادر الشرطي الغرفة قال بشيء من الحدة بعد ان نظر لساعة يده لاتنسوا ان المقابلة لاتزيد على ربع ساعة فقطولهذا انهوا كلامكم بسرعة.

قال الشرطي هذا وخرج من الغرفة ووقف أمام بابها وكل حواسه عند حمه وزائريه لعله يلتقط منهم أي كلام احتضنت شمسه ولدها بلهفة واخذت تمطره بالقبلات وتضمه وتشمه بحرارة.

سلم حمه على زبيدة خانم بحرارة واحترام ورحب بها واحتضن ابن خاله خوله كذلك.

قالت شمسه بصوت خافت تخنقه العبرات:

-لينتقم الله منهم، هكذا وفي هذا السجن الكبير أيضاً يداك مكبلتان.

اصطنع حمه الأبتسام وكأنه يريد أن يسري عن هموم زائريه وقال:

-انني كنت في بناية اخرى بعيدة من هنا لذلك البسوني هذه (الأسورة) خوفا من الهرب.

تمتمت شمسه مع نفسها قائلة:

-اتمنى من الله ان يلبسهم أسورة من نار وان ينتقم لكم بالثأر. ثار كل المطلوبين آمين يا رب.

مسحت شمسه دمعتها وقالت لأبنها:

-اين فرهاد؟ لماذا لم يأت هو الآخر لنراه؟

رد حمه قائلاً:

-كما قلت. كنت في بناية اخرى ولهذا هو لايعلم بمجيئكم لاتهتمي انه بصحة جيدة وقد رايته في المرة السابقة.

نظر الشرطي الواقف بالباب في ساعته مرة ثانية واتجه اليهم قائلاً:

-لم يبق من الوقت الا القليل.

نظرت اليه زبيدة خانم بعصبية وقالت بشيء من الحدة:

-ماذا دهاك اننا لم نكد نجلس؟ ماذا جرى هل قامت القيامة؟

اكملت زبيدة خانم كلامها بهمس وانفعال:

-اتمنى ان ينهار هذا السجن على رؤوسكم ورؤوس رؤوسائكم يا مجرمين.

رد الشرطي على اجابتها الأولى لأنه لم يسمع طبعا بقية كلامها الأخير:

-لا لزوم للعصبية والحدة فالأوامر هكذا اننا على عجل يجب ان يذهب انهم في انتظاره ليأخذوه.

انتفضت شمسة خانم من مكانها وقلبها يكاد يتوقف عن الخفقان وقالت بأرتباك وتلعثم:

-ماذا يقول؟ من في انتظارك؟ يأخذونك الى اين ؟

ابتسم حمه بأسى واضعا يديه المكبلتين فوق كتف والدته محاولا تهدئتها وقال:

-لا تهتمي يا امي ولا تحزني انك شجاعة وصامدة في كل الظروف ولهذا لا احب ان اراك الآن بهذا الحال.

انفتحت حدقتا عيني شمسه على اتساعها وكادت تنهار قواها وجف حلقها وبلسان ثقيل وكلمات متقطعة قالت :

ما الذي حصل وما الذي يودون اجراءه؟ ما الذي سيفعلونه؟

رد حمه بتأثر بالغ بسبب وضع والدته وقال:

-يا امي ارجو ان تهدئي .المسألة وبما فيها ان هؤلاء الشرفاء ( وكان يقصد الحكومة) قد امروا بأبعادي.

سرت في جسم شمسه قشعريرة واحست وكأن داخلها كله قد بدأ بالإرتعاش، ضربت صدرها بكفها وقالت:

-يبعدونك الى اين؟ عسى ان تنهار بيوتهم على رؤوسهم، وسكتت للحظة وبعدها انتفضت قائلة:

-دعهم يبعدونك يا حبيبي الى حيث يشاؤون.

كانت كلمات شمسه كالهذيان وبعد ان حاولت ان تسترجع قواها مسحت بشالها القطني الخفيف وجهها ودموعها وقالت:

-أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله شكراً لك يالهي. وأكملت كلامها بهمس متمتمة أعوذ بالله ما تلك الأفكار السوداء التي شلت تفكيري. شكراً لك يارب، على كل حال الى اين ذهب خيالي ياساتر؟

أعاد صوت شرطي الجهوري وهو يعلن انتهاء المقابلة شمسه الى رشدها لذلك نهضت وأخذت ابنها في حضنها تقبله مبللة وجهه ورقبته وياقة ملابسه وصدره بالدموع الغزيرة مستفسرة منه عن الجهة التي يريدون ان يبعدوه اليها.

قال حمه وهو يحاول كل جهده ان يهدئ من روع والدته ويسيطر على ذلك الموقف الحزين:

-انهم سيبعدونني الى تركيا عن طريق زاخو لذلك اطمئني سأحاول قدر المستطاع ان اتصل بك بواسطة الرسائل.

نظر حمه الى زبيدة خانم التي كانت هي الأخرى تكفكف دموعها المنهمرة ثم وجه الكلام لوالدته قائلاً:

-اسألي كاكه علي انه سيخبرك عن التفاصيل.

لطمت شمسه وجهها وقالت بفزع:

-لتمت امك يا مصيبتي، الى تركيا؟

غير ان ضيق الوقت وصوت الشرطي الآمر كانا اقوى من دموعهم وأحاسيسهم ولهذا فلا مفر من الوداع الأخير.

ابتعد حمه من بين احضان والدته الحزينة وودّع زبيدة خانم بحرارة واحتضن خوله الذي كان الموقف المؤثر قد هزه بشدة وجمد الدم في عروقه وأخيراً ابتعد وهو يلوح بيده اليهم ووقف الثلاثة يلوحون له أيضاً ولم يتحركوا من مكانهم الا عندما دلف الى أحد الممرات وغاب عن أنظارهم.

بعد انتهاء مقابلة حمه لوالدته مباشرة اركبوه سيارة جيب وتبعتها مسلحة مملوءة بالشرطة متجهين نحو طريق زاخو ومن هناك الى آخر نقطة حدودية بين العراق وتركيا سلموا حمه الى المخفر ليسلموه بدورهم الى المخفر التركي.

بعد ساعات عادت المسلحة وسيارة الجيب المرافقة الى الموصل وبقي حمه في المخفر الحدودي مع هيئة جديدة من الشرطة والمأمورين.

كان المخفر في مكان جبلي وعر تحيطه القرى المتناثرة هنا وهناك في وسط أعالي ومنحدرات الجبال الكثيرة السهول والوديان المكتظة بأشجار البلوط والأشجار الأخرى مع ان حمه كان ينتظر مستقبلاً مجهولاً وخطراً خاصة انه كان سيسلم الى المخافر التركية التي كانت في ذلك الوقت هي العدو اللدود لكل ما اسمه كردي ومع ذلك انتابه شعور بالأرتياح وخاصة وهو يرى تلك المناظر الخلابة واخذ يحس بشيء من الأطمئنان وهو يسمع كل المأمورين يتكلمون الكردية رغم انه لم يحس منهم بأية حركة او اية كلمة أو اية اشارة تعبر له عن حسن نيتهم نحوه ولو بقدر ضئيل جداً. مع ذلك احس حمه بأن شيئاً خفياً يربطه بهذا المكان وبهؤلاء المأمورين الذين كانوا في واد وحمه في واد آخر.

كان من ضمن الأفراد شرطي يدعى عريف يوسف في منتصف العمر طويل القامة تبدو على محياه الهادئة الرزينة وشعره الذي وخطه الشيب كل امارات التدين الحقيقي وغير المزيف والأحترام والأمانة.

ولهذا في أول فرصة سانحة اقترب من حمه وسأله بعض الأسئلة ومع ان يوسف من أهالي منطقة زاخو وضواحيها ولم يكن يعرف من لهجة حمه السورانية أي شيء مع ذلك تمكن أن يستمع اليه ويتفهم مشكلته بوضوح تام وبعد يومين من مكوث حمه في المخفر الذي كان مأموره بأتصال دائم مع المسؤولين في الموصل وكان

جهازهم اللاسلكي وتلفوناتهم في عمل مستمر في أستقبال الشفرات الحكومية والاجابة عليها.

أخبر حمه بأن يكون جاهزاً فهم سيأخذونه لتسليمه الى السلطات التركية ومع ان حمه تلقى الخبر بهلع واسى مرير لكنه هدأ بعض الشيء بعد قليل عندما شاهد العريف يوسف من ضمن المتهيئين لأخذه الى عبور الجسر وتسليمه للسلطات التركية.

كان المخفر التركي في الجانب الآخر من الجسر وكانت المسافة بين المخفرين قريبة ولاتستغرق الا مدة قليلة وذلك مشياً على الأقدام.

استعد حمه ومعه العريف يوسف حيث كان شخصاً محترماً من قبل جميع مأموري ذلك المخفر والمعتمد الأول لدى مدير المخفر لأمانته ومزاياه الأخلاقية.

ورافقهم كذلك شرطي مدجج بشاجور طويل من الطلقات مع بندقية رشاشة حملها على كتفه.

سار الثلاثة يخترقون الطريق الى الجسر وبعد ان ابتعدوا عن المخفر اخذ العريف يوسف يوشوش في اذن مرافقه المدجج بالسلاح قائلاً:

–ما رأيك لو تمكنا من عمل أي شيء لمساعدة هذا الشاب المسكين؟

-ماذا تقول يجب ان نكون نحن ايضاً غيورين وشهمين ولا نكون جبناء. ان الله عز وجل سيجازينا خيراً على حمايتنا شاباً مظلوماً كهذا.

كان المرافق في حيرة من أمره اذ كان يود المساعدة ولكنه خائف جداً في نفس الوقت.

كان خائفاً ان هم اطلقوا سراحه ان يتيه بين تلك الأحراش والقرى والجبال وهو الذي لايعرف تلك الطرق والمناطق. حتى لو كان يعرفها فقد يتعرف أحد عليه او يُعتقل من قبل الشرطة والقوات المرابطة في تلك المناطق وحتماً عندها سيكون مصيره أتعس من مصير حمه نفسه ولهذا كان مشتت الأفكار وخائفاً ووجلا وحزيناً.

وصل الثلاثة الى مقربة من الجسر ووقفوا لبرهة.

قال العريف يوسف لمرافقه:

-لا اريد منك اي شيء سوى ان تختبئ بين هذه الأحراش الى ان اتمكن من اخذه عبر الوادي العميق واوصله الى قريتنا فهذا الشاب كردي مثلنا وحرام ان نذهب لتسليمه للسلطات التركية وعندها يعلم الله وحده ما الذي سيفعلونه به وانت تعرف مدى كرههم للأكراد. ها ماذا تقول؟ ارجو ان اسمع راي نخوتك وشهامتك.

نكس مرافقه المدجج بالسلاح راسه وقال بأرتباك:

–ان اردت الحقيقة أنا أيضاً احمل نفس ما تفكر بـه وأود ان افعل كل ما بأمكاني لمساعدته ولكني خائف جداً لأنك على علم بأخلاق مديرنا وكم هـو مخلـص للسـلطة الحاكمـة وكيـف ينفـذ أوامرهم بالحرف الواحد ويطيعهم طاعة عمياء.

رد العريف يوسف قائلاً:

–انني اشهد لرجولتك وشهامتك ولهـذا عملـت المستحيل حتـى أن تكون انت المرافق لنا في هذه المهمة، والآن انظر الى هذا الشاب المسكين الذي لاحول له ولا قوة ولا جريمـة قد اقترفها سـوى انـه وطني ويناضل من أجل أبنـاء شعبه الذيـن أنـا وانـت مـن ضمنـهم. انه ليس قاتلاً أو سارقاً أو مجرماً. كل جريمته انـه منـاضل كـردي يدافع عن حقوق المظلومين.

نظر العريف يوسف الى مرافقه وقال بجدية:

–سوف اسلمه لواحد من أقربائي ليهتم بأمره. ها ماذا قلت؟

وقف الثلاثة ومرت فترة من الصمت الرهيب القاتل نظر الأثنان الى حمه وأشفقا عليه حيث كـان بلا مقاومـة وبلا رأي يتبعهما الى مصيره المحفوف بالمخاطر الجمة والأكيدة مشلول الأرادة لاحـول له ولا قوة. يأمرونه بالمشي فيمشي يأمرونه بالوقوف فيقف دون اعتراض. شـاب في مقتبل العمـر وقـد بـهت لونـه واصفـر وأصبـح منهوك القوى مصيره وحياته قد أصبحت رهينـة كلمة أو كلمتين منهما ما هـذا الظلـم؟ هل من المعقول أن تصبح حيـاة الأنسـان رخيصـة تافهة هكذا ضحية أهواء حفنـة مـن الحكـام المتسـلطين

على رقاب الأبرياء؟ بالتأكيد ان لهذا الشاب اماً واباً واخوة واهلاً. ماذا عساهم يفعلون الآن أمه التي ربته وسهرت الليالي بجانبه تسقيه من رحيق حبها وحنانها ربما بذلت الغالي والنفيس من أجل سعادته لكي ترى البسمة فوق شفتيه اهكذا بسهولة وبلمح البصر يأخذونه ويعبرون الجسر ليسلموه لأناس آخرين وكأنه قطعة رخيصة بالية يريدون ان يتخلصوا منها، لا وألف لا. قالها العريف يوسف بعزم وقوة لا هذا مستحيل.

رفع راسه نحو صديقه المرافق وقال بصوت أجش وبعيون كانت الدموع محتبسة فيها وكأنه كان يداريها لكي لاتفضحه وهو الرجل القوي الذي لايحب ان يذرف الدموع كالنساء وهو الرجل الذي يبدو متحجر القلب وليست له أحاسيس.

-لا هذا مستحيل كما قلت لايمكن ان افعل هذا الشيء كل ما في الأمر سألقي الذنب كله علي فلا تخف انت انا المسؤول عن كل ذلك..

قال المرافق بأرتباك والم:

-انني خائف وماذ لو سألوا السلطات التركية؟ هل استلمتموه أم لا؟ لأنه سيطلب منا أوراق التسليم.

أجابه العريف يوسف وهو ما زال على عزمه:

-لاتبالي لذلك اية سلطات ومخافر تركية انست تعرفهم جيداً؟ ان كل مايشغل بالهم هو الكسب والتعامل مع السماسرة والمهربين عبر الحدود ولهذا ليس لهم اي مطلب آخر الا ترى كل هؤلاء

المهربين من أين يجيئون ويذهبون؟ أليس بمعرفتهم؟ لذلك اطمئن، هل من المعقول ان تطلب السلطات التركية طلباً من هذا القبيل وتقول لنا بالله عليكم كان يجب أن تسلمونا متهماً لماذا لم تأتوا به؟ هذا مستحيل، هم يتمنون من الله ان يبعد عنهم المشاكل لكي يتفرغوا للسلب والنهب والتعامل مع المهربين، فكيف تقول هذا الكلام؟

-أجابه المرافق بتلعثم وارتباك وهو يتلفت حوله:

-ليكن ماتريد مع انني خائف جداً لأن عملاً كهذا كفيل بأن يخرب بيوتنا ويعرضنا لأقصى العواقب.

قال العريف يوسف بهمس كمن يريد أن يعيد الهدوء والطمأنينة لصاحبه:

-كما قلت لك أنا المسؤول عن كل ذلك فلا تقلق، سأقول لهم انه غافلنا بأشعال سيكارة أو للذهاب للوضوء والصلاة او اي شيء من هذا القبيل، وهرب منا في لحظة وكأن الأرض انشقت وابتلعته.

ابتسم العريف يوسف متأسياً وقال:

-بعد قليل سنطلق عدة عيارات نارية أيضاً هنا وهناك لنقول كنا نلاحقه ونطارده ولكن بدون جدوى.

أجابه المرافق وكان بين نارين:

-ليكن ماتريد وهيا توكل على الله.

انطلقت أسارير العريف يوسف واحتضن صديقه وقال:

ان هذا العمل سيريح ضميرك مدى الحياة وسيكون وسام شرف على صدرك طوال حياتك وارجو ان لاتندم على ذلك.

امسك العريف يوسف بيد صديقه وقال:

-الآن اذهب واجلس في مكان هادئ ولاتفكر بشيء وانتظرني الى حين عودتي اليك.

التفت العريف يوسف نحو حمه الذي كان مرتبكاً وعالماً بسبب ذلك الجدال وتلك المناقشة بين هذين الشرطيين وكان يعرف تماماً ان مصيره بين يدي هذين الشخصين التفت اليه يوسف واخذه من يده وقرب راسه وشاوره بالأمر وبالأتفاق الذي توصل اليه مع مرافقه، فرح حمه للأمر واحتضن العريف يوسف بحرارة وهو يكاد لا يصدق اذنيه وقال بصوت تخنقه العبرات:

-كان قلبي يحدثني بأن امراً كهذا سيحدث فمنذ اللحظة التي رايتك فيها احسست بالراحة والطمأنينة لنبل اخلاقك وكنت واثقاً في بعض الأحيان بأنك ستفعل شيئاً ما من اجلي انني سأكون شاكراً لك مدى الحياة.

أجابه العريف يوسف بحرارة وهو يداري دموعه التي كادت ان تنهمر وقال:

-هذا واجب كل انسان ذي غيرة وشرف. لأن الحالة التي قد وصلت اليها هي بسبب بني قومك ويجب ان لاينسى هذا كل من عنده ذرة من الوجدان.

بعد اتمام الخطة عاد العريف يوسف ومرافقه كاكه جوهر الى المخفر بقلب واجف مضطرب وارتباك وحزن مصطنع دلف يوسف الى غرفة رئيسه (مدير المخفر) وقد نكس راسه وبدا كالمهموم الحقيقي وبعد أداء التحية قال موجهاً كلامه للرئيس الذي كان منهمكاً وغاصاً بين علب اقداح الشاي المتنوعة وعدد من سماورات الشاي بأحجام مختلفة واكوام من البطانيات الصوفية الرائعة من صنع تركيا وعدة صفائح من زيت الزيتون وعلب الزيتون نفسه وكان يقلب هذا ويفتح ذك ويظهر انه كان من قبل دقائق أو من مدة قصيرة في مساومة واخذ وعطاء مع عملائه المهربين. قال العريف يوسف بأنكسار:

-سيدي اني خجلان ومهموم ومتأسف لأني في هذه المرة قد اخفقت في واجبي انك تعرفني جيداً وتعرف اخلاصي من سنين طويلة كيف كنت طوال هذه المدة انفذ اوامرك بصدق وامانة.

ضرب العريف يوسف كفا بكف وقال:

-لا أعرف ماذا دهاني في الحقيقة كنت أود أن تراني الآن جثة هامدة بدلاً من هذا الأخفاق والفشل.

أجابه رئيسه (سعيد آغا) وهو مازال منهمكاً بتقليب العلب والأشياء المهربة التي حصل عليها من أصدقائه المهربين وحتى انه لم ينتبه ولم يتمكن من التركيز على كلام العريف يوسف. لأنه كان غارقاً في دوامة احصاء وتوزيع حصيلة ذلك اليوم بينه وبين

رؤوسائه في الموصل لذلك رد على العريف يوسف بدون مبالاة وقال بمرح:

-الله عليك اجعله خيراً. ماذا دهاك يا رجل انك دائماً متجهم الوجه ومتشائم ودائماً أراك تولول أهدأ قليلاً ما الذي حصل وما بك اخبرني؟

اجابه يوسف ثانية بأنكسار وارتباك مصطنع:

-سيدي كما قلت لك انني قد اخفقت هذه المرة في أداء واجبي الرسمي أن السجين قد هرب منا.

هبط قلب سعيد آغا وارتبك، رمى بالأشياء التي كانت بين يديه ونهض واقفاً وقال بتلعثم وانفعال:

-كيف؟ ما الذي تقوله؟ بلع سعيد آغا ريقه الذي تيبس فوراً من شدة الهلع والخوف وقال:

-كيف هرب وأين هرب؟ وانت اين كنت اخبرني بسرعة؟

رد العريف يوسف وهو مازال منكسا رأسه ويضرب كفاً بكف:

-سيدي جلبت نظري جماعة أو كتلة سوداء غير طبيعية تشبه اللصوص أو المهربين غير العاديين وذلك لسلوكهم طريقاً غير الطريق المعتاد وكأنهم كانوا يحاولون الأبتعاد عن الأعين وعندها للحظات كي أتمكن من فحص تلك الكتلة بالناظور وحين كنت منهمكاً وجوهر يساعدني في ذلك حيث كنا نتناوب النظر اليهم ورصد تحركاتهم فأذا بي التفت حولي فلا أجد السجين وكان الأرض انشقت وابتلعته.

مسح سعيد آغا وجهه وجبينه من العرق المتصبب منه من شدة الخوف والذهول وقال باضطراب:

-اخبرني بسرعة وقبل كل شيء هل هرب في اراضينا او في الأراضي التركية؟

أجابه يوسف بحزن شديد مصطنع:

-لا ياسيدي ليس في اراضينا كنا قد قطعنا الجسر ودخلنا الأراضي التركية ولم يبق امامنا سوى مسافة قصيرة لكي نصل المخفر التركي.

تنفس سعيد آغا الصعداء وقال:

-الحمد لله، الحمد لله ان هذا جيد جداً. فلو كان قد هرب في اراضينا ولأنه ليس له المام بهذه المناطق فكان من المحتم ان يلقى القبض عليه من قبل المفارز الحكومية ولكن في الأراضي التركية هذا لا يخصنا حيث بعد ساعات سيلقى القبض عليه وحتماً سيتخلصون منه بعدة عيارات رخيصة لاتساوي غير بضعة فلوس ويخمدون انفاسه على الفور.

تمتم العريف يوسف مع نفسه قائلاً:

-وحياة راسي وراس والدك ووالدهم انه الآن جالس مرتاح وبأمان يأكل لب الجوز والخبز مع والدي ويعبّ اقداح الشاي الواحد تلو الآخر. خاب فألك وفألهم يا حرامي.

حاول سعيد آغا أن يعود لطبيعته لذلك القى عدة اوامر ونصائح للعريف يوسف وقال له:

-حيث انني اثق بك كل الثقة لذلك لا اتمكن ان القي اللوم عليك. ارجو ان لا تخبر احداً بذلك وانصح جوهر أن يكون على حذر ولايفشي هذا السر.

ادى العريف يوسف له تحية تعظيم وقال:

-امرك يا سيدي فأن هذا السر سيكون في بئر وسأخبر جوهر بذلك ان جوهر خائف وحزين جداً وسأطمئنه بذلك.

مرر سعيد آغا يده على صدره وشعره واصلح من هندامه وخرج الى باحة المخفر ليأمر القوة المرابطة هناك بمراقبة المنطقة وخاصة الجسر. ولذلك هرع افراد الشرطة نحو اسلحتهم يتلقفونها وكل سارع الى مكان، وقسم منهم ايضاً صعدوا الى سطح المخفر مع نواظيرهم لمراقبة الجهات المحيطة بهم.

كانت الفرحة لاتسع العم (عبدالله) والد العريف يوسف الذي كان يبلغ من العمر قرابة التسعين سنه عندما اخبره ابنه بتلك القضية لذلك اسرع في الحال مصطحباً معه طقماً من الملابس التي يرتديها سكان تلك المنطقة الى حمه الذي كان مختبئاً في احدى الكهوف القريبة من قريتهم واصطحبه بهدوء الى بيته الهادئ المتواضع، الملابس التي قدمها له كانت من طراز (الشال والشبك) لأن ملابس حمه كانت ملابس أكراد منطقة السليمانية وهي تختلف بالشكل والموديل عن ملابسهم حيث لكل منطقة من كردستان موديل خاص لملابسها نسائياً ورجاليًا. عند الظهيرة تقدم العم عبدالله او كما كانوا ينادونه (مام عبو)، حمه الى احدى

القرى القريبة بعض الشيء من قريتهم ليبيتوا هناك. كان العم عبدالله قد قضى معظم حياته في تلك المنطقة وترعرع فيها الى أن وصلت به السن الى ما وصلت اليه وأصبح شيخاً طاعناً ولهذا كان يعرف طرقها وسهولها ووديانها شبراً شبراً.

ولذا فقد تقدم حمه متسلقاً طرقاً جبلية وعرة يخيل للأنسان بأن لاأحد قد عبرها أو مر بها غير الحيوانات البرية وذلك من أجل سلامة حمه.

كان العم عبدالله يجوس في تلك الطرق الوعرة الصعبة كالغزال ودون تعب أو أرهاق، حيث كان حمه وهو في سن حفيده قد تعب وبدا على وجهه الأرهاق بوضوح وفي كثير من الأحيان كان حمه لايتمكن من اللحاق به وهو يكاد أن يصرخ ليقول:

-أرجوك يا عم ان ترحمني انني مرهق، صبرك علي بالله عليك.

ولكنه كان يخجل أن يتفوه بأية كلمة من هذا القبيل عند هبوط الظلام جلس العم عبدالله وأمر حمه أيضاً بالجلوس بالقرب من احدى عيون المياه العذبة ليستريحا.

أخرج العم عبدالله كيسه وأخذ يملاء غليونه بالتبغ ويضغط براحة يده عليه وحين اكمل ملأها اشعلها ووضعها بين شفتيه فرحاً ونظر الى حمه الذي كان منهوك القوى وقد أشعل سيجارة ووضعها هو الآخر بين شفتيه كان حمه يشعر بعدة أحاسيس مختلطة من الفرح والخجل لما سببه لهؤلاء الناس الطيبين من مشاكل ومواقف محرجة وكان خائفاً مما يمكن ان يصيب العريف

يوسف وصديقه من الأذى بسببه وكان معجباً في نفس الوقت بنشاط هذا الشيخ الطاعن في السن وكان يدعو له من كل أعماقه أن تدوم صحته ويدوم نشاطه الى الأبد وكان يفكر به وبطيبة قلبه وحنانه وكيف كان مهتماً به وكأنه أحد ابنائه او أحفاده الأعزاء.

حاول حمه ان يقول شيئاً ولكنه كان خجلاً لذلك خرجت الكلمات من فمه متلعثمة قائلاً:

-أيها العم العزيز ان لساني لعاجز ولا أعرف كيف أبدأ بالكلام لأشكركم.

تململ العم عبدالله واخذ نفساً عميقاً من غليونه وقال:

-ماهذا الكلام ما الذي تقوله يا ولدي. تأكد ان هذا اليوم هو اسعد يوم في حياتي. وان هذا العمل احسن واشرف عمل قام به ولدي يوسف واني أشكره من صميم قلبي لما قام به هو وصاحبه. لاتقلق فأنت كأبنائي واعز منهم لأنك تدافع عن حقوق أخوانك وأبناء شعبك ولهذا وصلت الى هذا الحال ويجب على كل غيور أن يمد لك يد المساعدة وهذا اقل مافعله ابني من أجلك لأنك قد ضحيت بحياتك وشبابك من أجل شعبك ومن أجلنا.

أخذ العم عبدالله نفساً آخر من غليونه وقال بفم مملوء بالدخان المنبعث من غليونه وهز راسه:

-يرسلونك الى تركيا. هذا حسن جداً!

اتعرف لماذا أرادوا أن يرسلوك الى هناك؟

لأنهم يعرفون مدى كراهية الحكومة التركية للأكراد والا لماذا لم يرسلوك الى مكان آخر او الى بلد آخر؟

زفر العم عبدالله زفرة وقال:

-انهم مجرمون لايخافون الله، لاتهتم يا ابني ان الله سيكون حليفكم لأنكم على حق تدافعون عن الحق.

اكمل العم عبدالله كلامه وقال بفرح:

-لم يبق لنا الا قليل من الوقت ونصل الى تلك القرية. ان لي فيها ابنة متزوجة هناك وصهري رجل شهم وشجاع فهو الذي سيرافقك الى مدينة زاخو ويبقى معك الى ان يأتي احد من اقربائك ليصحبك بعدها الى المكان الذي تريد.

شكره حمه بحرارة وقال:

ان كلماتي عاجزة عن التعبير عن مدى حبي وتقديري وشكري وشكر عائلتي نحوكم. تأكد يا عمي العزيز ان الذي كان أثقل همي وحزني هو تفكيري بوالدتي لأني كنت أعلم بما سيجري لها من بعدي انها بحق ام مثالية ومتفانية الى أقصى الحدود وقد ضحت بحياتها وسعادتها وصحتها من أجل أولادها وهي فوق ذلك وطنية شجاعة وهي التي علمتنا وربتنا على حب وتقديس تربة وطننا.

تمتم العم عبدالله والغليون في فمه قائلاً:

-جزاها الله خيراً. لاتحمل هماً لها انها ستعلم قريباً بسلامتك وستفرح بك انشاء الله.

ابتسم حمه بشيء من المرارة قائلاً:

-ان الحكومة قد لفقت لي هذه التهمة لترسلني وتنفيني الى تركيا وذلك ليتخلصوا مني بحجة ان جدي لوالدتي كان في الحرب العالمية الأولى ضابطاً في الجيش العثماني فلهذا يجب ان ارسل الى هناك بحجة ان جدي ينحدر من أكراد تركيا.

وقد اخبرتهم بأنني وجميع عائلتي وامي وابي كلنا قد ولدنا هنا ونحن من اكراد العراق ولكنهم قالوا لا يجب أن ترحل الى هناك وهكذا كان قرار النفي والأبعاد والسفر كله قد تم في ظرف عدة ساعات ضحك العم عبدالله:

-يا ابني ان الكثيرين من الناس كانوا ضباطاً في الجيش العثماني. كل البلاد في ذلك الوقت كانت تحت الحكم العثماني، فلماذا تطبق هذه القاعدة عليك فقط؟ لا يا ابني انها حجة ليس الا، وحجة قذرة كذلك. انهم كفار لا يخافون الله وليس لهم ضمير ولادين.

انتفض العم عبدالله قائماً ونظر الى حمه قائلاً:

-هيا ياولدي لنكمل مشوارنا. تمتم العم عبدالله مع نفسه وقال بصوت اشبه بالهمس:

-أتمنى من الله ان يجازيك خيراً يا ولدي يا يوسف على هذا العمل الأنساني النبيل الذي قمت به.

اخبرت شمسه ابنها عزيز في السليمانية بما جرى لأخيه حمه. فهرع بصحبة بعض من أقاربه فوراً الى الموصل لتقصي المعلومات

الأخيرة ولأصطحاب والدته الى بيتها حيث كان يعلم بما كانت عليه في حال من تلك الساعات.

كانت شمسه منهارة وكانت الدنيا قد اسودت الدنيا بعينيها وكانت في بعض الأحيان تهب من مكانها كالمجنونة وتقول:

-هيا ياخوله الى احد الكراجات وإستأجر لي سيارة لكي أذهب الى زاخو والى ذلك المكان الذي اخبرني به حمه الحبيب.

عندها كانت زبيدة خانم وزوجها وأولادها يلتفون حولها ويواسونها ويتقدم نحوها احد أبناء زبيدة خانم قائلاً:

-أرجوك ان تهدأي يا خالة ان أخي على اتصال مع أحد تجار المواشي الذين يعبرون الحدود وقد وعده أن يتقصي أحوال كاكه حمه ويعرف مكانه وعندها ستتمكنين من الذهاب معه الى هناك فلا تقلقي غداً أو بعد غد سيكون عندنا ليأتينا بالأخبار وعدا ذلك كانت العائلة كلها مهمومة وأبناؤها في نشاط واتصال دائم بأصدقائهم وأقربائهم لعلهم يحاولون عمل اي شيء لأنقاذ حياة حمه الذي حسب ظنهم بأنه الآن بين أيدي السلطات التركية وان حياته في خطر أكيد.

وعلى الرغم من أن العائلة كانت يائسة من قدرتها على انقاذه وخاصة أنه أبعد عنهم الى مكان ليس لهم به أيه معرفة وليست لديهم أية سلطة عليه لكن وبسبب شمسه كانوا يصفون كل هذا لأعادة الأمل والرجاء الى نفسها الكئيبة والحزينة.

بعـد أن مكـث عزيـز يومـين في الموصـل اضطـر للعـودة الى السليمانية مع أقربائه بأعصاب متوترة وقلب كسير.

بقيت شمسه عند أصحابها تعيش على الأمل الميئوس منه وفي احدى الأمسيات طرق باب دار زبيدة خانم عدة طرقات وعندما قامت بفتحه فوجئت بأنها بمواجهة شاب بملابس مدنية (أفندي) يسألها:

-هل هذه دار أم علي؟

قالت صاحبة الدار:

-نعم انه هو وأنا أم علي.

عندها ناولها الشاب رسالة مع سلة من الخوص مليئة بالطماطة الطازجة التي كانت قد قطفت قبل وقت قليل وحجم كل حبة منها يفوق حجم برتقالة كبيرة.

سألته ام علي بحيرة عمن أرسل هذه الرسالة؟

فأجابها الشاب:

-انه لايدري فقط الذي يريده هو هل العنوان صحيح أم لا؟

مع أن ام علي كانت على شيء من المعرفة بالقراءة البسيطة فقد القت نظرها ثانية على العنوان المكتوب على غلاف الرسالة وقالت:

-نعم انه هو كما قلت

-مهمتي انتهت واستودعك الله. وعاد ادراجه من حيث أتى.

ادخلت زبيدة خانم السلة الى الدار بحيرة. وحين سألها ابنها الأصغر الذي كان قد عاد منذ نصف ساعة وكذلك زوجها عن الطارق. قصت عليهم القصة وناولتهم الرسالة. فتح الوالد الرسالة ووضع نظارته فوق عينيه واخذ يقراها ولكنه اندهش لأنها كانت اشبه ما تكون باللغز وقراها مرة ثانية وهو غير مطمئن من صحة العنوان والمرسل والمستلم. هز ابو علي راسه قائلاً لاافهم ماتعني هذه الرسالة وليس عندنا احد بهذا الأسم واعاد قراءة الرسالة بصوت مرتفع حتى يسمعه ابنه والجالسون الآخرون لعلهم يتمكنون من حل هذا اللغز:

-والدتي العزيزة انني بخير وقد اجرت داراً جيدة وانتقلت اليها مع عائلتي في زاخو وهذا عنواني:

-(١٤ محلة الكوندك-زاخو) المخلص ابنك سليمان.

مع سماع شمسه اسم سليمان هبت من مكانها كالمجنونة وهي تنشج وتصرخ:

-يا الهي انه حمه انه حبيبي انه ابني انه سليمان هذا اسمه السري.

هاج اهل الدار وماجوا واخذت شمسه تحتضنهم وتقبلهم وهي تهذي بكلمات على غير قصد واضح وتضحك تارة وتبكي تارة اخرى. واخيراً جمعت شمسه اشتات افكارها وجلست تقص لهم حكاية اسم سليمان وكيف ان حمه عندما كان صبياً يثور ويزعل كثيراً لذلك سمته احدى جاراتهم القريبات التي تعود بنسبها الى

اهالي دهوك (سلو) (سلوكه) باللهجة الباهدينانية بمعنى كثير الزعل ولهذا كانوا ينادون حمه بـ(سلو)فعندما كبر وانخرط في صف النضال وأصبحت له نشاطات حزبية سمى نفسه (سليمان) ان سليمان اسمه السري.

فرح أهل الدار لفرحة شمسه وأحالوا ليلتهم الى مجلس انس ومرح واخذوا يهيئون التدابير والخطط اللازمة من أجل حماية حياة حمه من كل خطر محتمل.

وبعد مناقشات وتداول الآراء بينهم اتخذوا قرارهم ووصلوا للحل النهائي بعدما طمأنهم أحد أقاربهم وبصفته ضابطاً عسكرياً بأنه سيتكفل بتلك المهمة وذلك بسبب الحصانة التي يتمتع بها من حيث عدم تعرض سيارته للتفتيش أينما جاء وذهب. وجاء بعد أيام قليلة وصل الى العائلة وشمسه التي كانت وما زالت عندهم نبأ وصول حمه الى كركوك بسلام وأمان.

فرحت العائلة كما لو انه من أبنائها، وأشرق وجه شمسه بالفرح والأشواق وبعد ان أطمأن قلبها غادرت الموصل الى السليمانية. طبعاً كانت قد كتمت خبر وصول ابنها الى كركوك وكان كل الأقارب والأصدقاء يتصورون بأن حمه قد نفي الى تركيا، ولهذا التف الكل حولها ليواسونها ويحاولون تخفيف آلامها.

وصل حمه الى كركوك بفضل قريب زبيدة خانم العسكري الشهم الذي خاطر بمستقبله وتمكن ان يسلمه لأخوانه الوطنيين الحزبيين بسلام.

نقل حمه الى دار أحد رفاق دربه في كركوك في محلة (آخر حسين) كان رفيقه (تحسين) من الشبان الأقوياء الشجعان وكان يملك محلاً لبيع الخضروات ويتميز بنشاطه وجرأته ولايعرف معنىً للخوف، لذلك كان يحاسب من قبل قيادة حزبه بأستمرار فقد كان متهوراً بعض الشيء، سبق ان ضبط لمرات ومرات في كمائن حكومية ولكن الحظ كان يسعفه في آخر لحظة ويتمكن من الأفلات منهم. كان في اكثر الأحيان ينقل النشرات الحزبية والبيانات الممنوعة داخل حمولة الخضروات والفلفل والبقول. كانت عائلتهم متكونة من ستة أفراد وحتى والدته العجوز وزوجته وأولاده كانوا مثله لا يهابون أو يخشون من شيء كانت وطنيتهم ونشاطاتهم عالية المستوى وكانوا يتعرضون دائماً للملاحقة من قبل الحكومة.

كانت زوجته (دولبر) امرأة ناضجة عاقلة تشارك زوجها في كل أموره الحزبية وكانت فوق ذلك خياطة ماهرة تتوافد عليها الزبونات وتتزاحم على بابها لتخيط لهن الملابس الكردية والأفرنجية.

في المساء عندما كان زوجها يعود الى البيت كان يذهب قبل كل شيء الى غرفة خياطتها لكي تقص عليه الأخبار والأنباء المختلفة التي كانت تتناقلها زبوناتها بالأخص زبونتها الدائمة زوجة معاون الشرطة التي كانت تحب دولبر لمعاملتها الحسنة وأخلاقها الرزينة مع زبوناتها وضبط مواعيدها تلك الصفة والميزة التي هي نادرة بين الخياطين وهي انهاء وتسليم الملابس في مواعيدها المضبوطة

وكذلك كانت لتحسين والدة حنونة وكلها طيبة وبراءةوكانت طيبتها مضرباً للأمثال حتى عند الذين لايعرفونها، نزل حمه مختفياً على تلك العائلة المتعددة المزايا وشعر بالأرتياح واخذ يعتاد يوماً بع يوم لحالته الطبيعية بعد ان كان منهوك القوى ومتوتر الأعصاب لفترة حرجة مرت به وكان كابوس تلك الفترة مايزال يراوده وذلك بسبب ماقاساه وما تحمله من معاناة كان حمه لليال طويلة لايتمكن من النوم ولا يتمكن من التركيز على القراءة كان شارد البال في أحيان كثيرة يفكر في العريف يوسف وصاحبه اللذين كانا سببا لأنقاذه من موت محقق. كانت تتجسم أمام عينيه صورة العم عبدالله بوجهه السمح وضحكته البريئة وقلبه الطيب وكثيراً ما يذهب بخياله بعيداً فيتمتم مع نفسه ويقول:

-ا من الممكن ان يأتي يوم وارى نفسي حراً طليقاً ويمكنني الله من ان أرد لهم بجزء يسير مما فعلوه من أجلي؟ كم هل جميلة عائلة زبيدة خانم ام علي وذلك القريب الشجاع الطيب الذي أوصلني الى هنا رغم المخاطرة الكبيرة بمستقبله وحياته ومن دون مقابل وبدون ان يتوقع اي جزاء او اي شيء سوى الرضى لوجدانه وتأكيد نبل أخلاقه وشهامته. أخذ افراد عائلة تحسين الطيبون يتبارون وكأنهم في مسابقة في ابراز عطفهم وحبهم وقد أصبح شغلهم الشاغل التفاني لأجله محاولة الترفيه عنه. واكثرهم اهتماماً

به كانت (ميمكه بكم) والدة تحسين التي كانت قد غمرت حمه بحنانها وحبها وكما لو انه ابنها الوحيد تحسين.

كانت طوال النهار في حركة دائبة تغسل ملابسه تدعوه للأغتسال تقدم له أنواع الأطعمة. عدا سماور الشاي المسكين الذي كان في غليان مستمر بسبب الموسيقى والوصوصة التي كانت تنبعث منه طيلة اليوم بدون انقطاع.

كان من غير الممكن ان يشاهد حمه بدون قدح الشاي المملوء والموضوع على الطاولة الصغيرة التي بجانبه وفي أي ساعة من ساعات النهار أو الليل، كان حمه في بعض الأحيان يضحك ويقول مع نفسه:

-يا الهي ان الأنسان ليقف حائراً أمام طبائع هؤلاء البشر من هم هؤلاء البشر؟ وما هذه الطبائع الرائعة التي في نفوس كل منهم حين ترى امرأة عجوز طيبة حنونة كوالدة صديقي تحسين أو شخصاً كالعريف يوسف ووالده ذي القلب الكبير او كعائلة زبيدة خانم الكريمة. ونرى بالمقابل أناساً اشرار بدون قلب أو ضمير كأكثر المسؤولين الحكوميين وكالطغمة التي معهم حيث لامانع لديهم من تلفيق التهم للناس الأبرياء بدون وازع من ضمير أو الذين لايبالون بأي شيء في هذه الدنيا ويدوسون بأحذيتهم على كل القيم والأخلاق والوجدان في سبيل ارضاء غرائزهم الدنيئة وتحقيق مكاسبهم الوضيعة ونفعهم الشخصي.

مرت ثلاثة أشهر على حمه وهو لايزال ضيف تلك العائلة الطيبة الغيور مرتاح البال على أمنه وسلامته.

وذات صباح أحد الأيام وبعد أن تناول كل فرد من العائلة فطوره وكل ذهب لحال سبيله ودولبر لغرفة خياطتها و(ميمكه بكم) شمرت عن ساعديها لتبدأ بأعمالها المنزليه والأستعداد لبدء نهارها في التفنن بتقديم الفواكه والمأكولات واقداح الشاي الى حمه الذي كان في بعض الأحيان عندما يسمع صوت اقدام ميمكه بكم قادمة اليه يسرع في سكب قدح الشاي المقدم اليه في حوض غسل الأيدي لأنه كان لايستطيع سكب كل تلك الأقداح المملوءة بالشاي في جوفه وعندما كان يتوسل الى ميمكه بكم بأنه لايتمكن من شرب كل هذا الشاي فإن توسلاته كانت تذهب ادراج الرياح ولذلك كان يسكب الأقداح الفائضة في ذلك الحوض حين كان يتوقع بأن ميمكه بكم قادمة اليه وطبعاً مع قدح شاي جديد في ذلك الصباح وحوالي الساعة التاسعة هرعت صبية من الجيران تنادي دولبر قائلة:

-دولبر خان اسرعي كاكه تحسين على الهاتف يود مكالمتك، اسرعي اسرعي بالله عليك انه على عجل.

ارتبكت دولبر وتلقفت عباءتها بسرعة لتذهب الى بيت الجيران لتهاتف زوجها حيث كان هاتفهم قد اصابه العطب منذ فترة، وكانوا قد جعلوا ذلك ذريعة ليكونوا في أمان من مراقبة وانصات أجهزة الشرطة على مكالمتهم ولولت دولبر مع نفسها قائلة:

-يا الهي مالذي حصل، رحماك يارب لو لم يكن قد حدث شيء ذا أهمية لما طلبني تحسين لأكلمه.

وصلت دولبر الى بيت جيرانها الملاصق لبيتها وهرعت وهـي تلهث من شدة القلق وتلقفت السماعة وقالت بتوتر وارتباك:

-هلو تحسين خير انشاء الله مالذي حصل؟

رد عليها زوجها تحسين في ارتباك قائلاً:

-اسمعيني جيداً. في بيت خالك حفلة وقد دعونا لنذهب اذهبي الآن حـالاً مـع الأولاد وكراريـس مدارسـهم الى هنـاك وخـذي معـك الصورة الكبيرة أيضاً. الصورة التي أشتريناها لهم هديـة. اسـرعي حالاً بدون تأخير.

حـاولت دولـبر ان تكـون طبيعيـة وشـكرت أهـل الـدار وعـادت مسرعة الى البيت نادت على حماتها ميمكه بكم.

ضربت دولبر صدرها بكفها بقلق لأنـها عرفت مايعنيـه زوجـها حيث كانا يتجاذبان فيما بينهما أحاديث كلها الغاز وكأنها شفرات سرية بسب طبيعة عملهما الحزبي لهذا وجهت الكلام الى حماتـها قائلة:

-يجـب أن نتحـرك بسـرعة. ومــن المحتمــل جــداً أن تداهمنــا الشرطة الآن ان تحسين قد قبض عليه أو هو محاصر.

لطمت دولبر صدرها مرة اخرى وقالت:

-الآن ماذا أفعل بضيفنا المسكين سيكون موقفه صعباً جداً.

التفتت دولبر لحماتها بأرتباك وقالت:

-ارجو أن تسرعي كي تنادي _حسن) ليأتي هو وسيارته وها أني ذاهبة لأخبر ضيفنا كي يكون جاهزاً ونخرجه من هنا.

هرعت ميمكه بكم الى دار ابن أخيها حسن القريبة من بيتهم مسافة خمس دقائق مشياً على الأقدام.

اخبرته بهمس بالأمر فأسرع حسن بدوره نحو سيارته التي لو كانت لغيره لكان رماها مع النفايات وتخلص منها ولكنه كان محدود الدخل وعاملاً بسيطاً لهذا كان متمسكاً بها أشد التمسك.

وصلت ميمكه بكم وابن أخيها بتلك السيارة العجيبة أمام البيت وأسرعت ميمكه لتخبر كنتها بوصولها حين كان حمه جاهزاً ودولبر كذلك كانت ملتفة بعباءتها تصلح من هيئتها وتخفي الكيس المملوء بالمنشورات والرسائل والمستمسكات الحزبية تحتها بأتقان.

خرج حمه ودولبر من البيت نحو السيارة الواقفة بأنتظارهما فأذا بقافلة من السيارات ومسلحات الشرطة امامهما وجهاً لوجه.

قفز افراد الشرطة المسلحون من سياراتهم واحاطوا بالسيارة الواقفة مع حمه ودولبر وامروهما مع السائق حسن بالدخول الى الدار لتفتيشها.

التف الرهط حول دولبر وحمه ودخلوا الدار.

سأل أحد مفوضي الشرطة دولبر:

-تحسين عبدالله. مادرجة قرابته اليك؟

أجابته دولبر محاولة السيطرة على أعصابها والظهور أمامهم بمظهر القوية والمعتدة بنفسها:

-أنا زوجته وهذه والدته.

توجه المفوض صوب حمه وقال موجهاً كلامه لدولبر:

-وهذا؟

حاولت دولبر اخفاء ارتباكها بأصلاح عباءتها وهي تلتف بها جيداً وكأنها خجلة من كل ذلك الرهط الكبير من أفراد الكحومة الذين انتشروا بسرعة فائقة واحتلوا كل الأمكنة في المنزل تحسباً لكل الأمور ولكنها في الواقع كانت خائفة ووجلة من الكيس الذي كانت قد اخفته تحت عباءتها وكأنها كانت تتوسل الى العباءة لتحميها من شرور عيونهم الثاقبة الحادة.

ردت دولبر على مفوض الشرطة قائلة:

-الأول ابن خالي، والثاني ابن خالتي وقد جاءا الي هذا الصباح ليصطحباني الى المستشفى لزيارة أحد اقربائنا المرضى حيث تجرى له عملية جراحية.

تجمد الدم في عروق دولبر وأحست كأن الدنيا اخذت تتهادى تحت قدميها وذلك بسبب خوفها على حمه المسكين الذي ذاق المرارة وكل تلك المعاناة حتى تمكن من الخلاص من بين ايديهم وماذا لو تعرفوا عليه الآن؟ أصبح لون ميمكه بكم أصفر مثل لون الأموات وجف ريقها وتوجهت لتجلس في أحد الأركان رافعة راسها الى السماء تستنجد بالله وتتوسل اليه لينقذهم في هذه المحنة.

تفرق الشرطة في ارجاء البيت وأمام الباب الخارجي، وحتى فوق السطح لكي لايدعوا اي مجال لخلاص أي شيء من بين أيدي أهل الدار.

ترك المفوض دولبر وحمه وحسن وتوجه مع الآخرين لتفتيش البيت.

تنفست دولبر الصعداء والفرحة لم تسعها في الخفاء وقالت هامسة بين نفسها:

-يارب شكراً لك.

طبعاً لم يتعرف احد على حمه الذي كان بنظرهم الآن مرمياً في احد السجون التركية او ربما قد قضى عليه من قبلهم لذلك تركوه في حاله وذهبوا لأتمام واجبهم الذي كانوا قد جاؤوا من اجله وكذلك تركوا دولبر وكيسها المملوء ولم يتخيل احداً منهم او يحس بما كانت تعانيه من خوف بسبب ذلك الكيس.

فتشوا البيت غرفة غرفة. قلبوا اثاثهم المتواضع وبعثروا امتعتهم وحتى مؤونتهم وجعلوا من الدار وكأنها ساحة ما بعد المعركة. كل ذلك ودولبر وميمكه بكم تشكران الله وتحمدانه.

بعد الأنتهاء من التفتيش نظر معاون الشرطة الى دولبر ورمقها بنظرة شزرة وقال بحدة وعصبية ربما لكونه لم يعثر على شيء:

-من الآن فصاعدا دعي زوجك يخفي النشرات في اكياس الأسبانخ والفاصوليا، هل محلكم هو محل بيع خضروات أم وكر

للتخريب؟ كما تدعون هو محل بيع خضروات ها؟ ردت عليه دولبر بشيء من العصبية وقالت:

–نعم انه محل بيع خضروات وما العيب في ذلك؟

نظر المعاون بسخرية وقال:

–عندما تودين زيارة زوجك في السجن تتمكنين أن تسألينه عن ذلك.

عندها تأكدت دولبر ان زوجها قد القي القبض عليه.

بدأ حشد الشرطة والمعاونين والمفوضين بالتجمع في باحة الدار كما اخذوا ينسحبون الى الخارج. وقبل ان يتموا انسحابهم الكامل عاد أحد الأفراد المدنيين العاملين معهم. واقترب من أحد مفوضي الشرطة ووشوش له بعدة كلمات وبعدها ذهبا نحو حمه الذي كان واقفاً في أحد أركان البيت مع حسن اللذين غرقا في الحيرة والكلام الهامس ولو انه حاول عدة مرات الخروج مع حسن عندما كانوا منهمكين في تفتيش الدار ولكنه منع من الخروج من قبل الشرطة الذين كانوا يحيطون بالدار لذلك اخطر على ان يبقى في مكانه مرتبكاً والقلق ينهشه في داخله.

اقترب منه المفوض مع الشخص الآخر ونظر المفوض في وجهه ملياً وقال:

–ما اسمك؟

رد حمه بشيء من الأرتباك:

–قادر مصطفى.

-ارني هويتك؟

-مد حمه يده لجيب جاكيته الداخلي واخرج هوية مزورة كان قريب زبيدة خانم العسكري الذي نقله الى كركوك قد رتبها له.

نظر مفوض الشرطة الى الهوية وقال:

-ماهي تجارتك في جمجمال؟

رد حمه:

-عندي دكان ببيع الأقمشة يعني تاجر اقمشة.

قال المفوض ومازالت هوية حمه بيده:

-يجب أن نأخذك معنا.

قال حمه بعد ان بلع ريقه بصعوبة:

-لماذا تأخذوني معكم مالذي فعلته؟ وما ذنبي أنا، انني هنا ضيف وقد جئت لأزورهم في هذا الصباح ولأصطحب معي عمتي الى المستشفى.

قال المفوض بشيء من التردد وكأنه كان غير مقتنع بكلام رجل الأمن لذلك قال:

-عدة أسئلة نود أن نسألها فلا تقلق وستعود بعدها الى البيت.

إرتبك حمه وعرف ان رجل الأمن قد اشتبه به، وارتبك اكثر واكثر وفقد الأمل في الخلاص حين تذكر وجه رجل الأمن وتذكر انه يعرفه حق المعرفة.

إلتفّ الشرطة ومن معهم من المسلحين حول سياراتهم وصعدوا اليها بسرعة وتحركت السيارات الواحدة تلو الأخرى وحمه وابن اخ ميمكه ايضاً كانوا من ضمنهم.

هاج اهل الزقاق وماجوا وبدأ الجيران يتدفقون الى بيت دولبر لمواساتهم معلنين سخطهم على الحكومة وأزلامها ولكنهم لم يكونوا يعرفون عن قضية حمه المسكين شيئاً.

جن جنون دولبر وميمكه بكم بسبب حمه والمصير الغامض الذي ينتظره عندما سيتعرفون عليه وحتى الكيس الذي بحوزتها والذي تمكنت بدهائها وذكائها ان تواريه عن أعينهم لم يشد اهتمامها ولم يفرحا للحظة بذلك بسبب وقوع حمه في الفخ هكذا بسهولة، أخذت دولبر بالتشبث بهذا وذاك وهرعت مسرعة الى صديقتها الحميمة زوجة معاون الشرطة والتي هي زبونتها الدائمة تتوسل اليها لكي تخبر زوجها ليحاول أن يفعل من أجلهم شيئاً. طمأنتها زوجة المعاون المعروفة بسذاجتها واخذها الأمور ببساطة ودون مبالاة وكانت دائمة الضحك والقهقهة حتى في احلك الظروف لذا فقد كان معارفها يسخرون منها ومن تصرفاتها غير العقلانية وغير الرزينة ولكن بصرف النظر عن تلك التصرفات كانت على خلق عال ومتفانية في خدمة أولادها وبيتها وزوجها وعلاوة على ذلك كانت مسرفة الى آخر الحدود مما جعل زوجها يتبرم دائماً من طلباتها ومن تبذيرها ومساعدتها لكل من يحتاج لإعانة المادية.

ورغم السلب والنهب الذي كان يمارسه زوجها معاون الشرطة من الناس العاديين والكسبة الذين كان يتهجم عليهم ويهددهم.

لذلك كانوا يعطونه كل مايريد له ولأصحابه الآخرين من المسؤولين وذلك درءاً لشره ودفعاً لما يمكن ان ينالهم منه. وعبر اسلاك الهاتف علمت دولبر بأن القضية شائكة وخطيرة وتحسين قد القي القبض عليه وبحوزته ماكنة طباعة ونشرات ومستمسكات لاحصر لها علاوة على ذلك قد القي القبض على سجين هارب في بيته كانت الحكومة قد ابعدته خارج الحدود.

لطمت دولبر وجهها وصدرها بفزع وانهارت وفقدت الأمل بنجاة زوجها وحمه وبرؤيتهما مرة اخرى وهما على قيد الحياة، اضطرت دولبر لهول الحادثة ان ترسل من يخبر شمسه وعائلتها بالنبأ الصاعق.

هرعت شمسه الى كركوك مرة اخرى منهارة كئيبة حزينة نصف ميته تذرف الدموع كالسيل المنهمر. وجلست قبالة دولبر وميمكه اللتين تجرعتا كؤوس المر والهوان مع كل ذلك كانت ميمكه بكم تراعي واجبات الضيافة وتحاول بكل الوسائل ورغم جرحها العميق ان تهدئ من روع شمسه وكنتها وتنصحهما بالصبر والأعتماد على الله القدير القادر وتجبرهما على أن تأكلا شيئاً لتتمكنا من مواجهة الموقف والصمود أمامه. مع ان شمسه كانت فاقدة الأمل من اية محاولة مع ذلك هبت في احدى الليالي تخاطب دولبر وميمكه بكم قائلة:

-اظن انه لافائدة من الجلوس والبكاء والنحيب يجب ان نفعل شيئاً كأن نذهب الى بغداد لنعرف على الأقل أين هما الآن؟ وفي أي سجن من السجون؟ ولنسأل الى أين وصل بهما الأمر؟

ومع ان اخوانهم في نشاط دائب من الأتصال بالوزراء الأكراد وبالشخصيات الوطنية من العرب المناضلين. اظن ان ذهابي الى بغداد سيخفف عني بعض الشيء. انسابت دموع شمسه وقالت بصوت مخنوق العبرات:

-وربما ارتاح هناك نفسياً كوني اشعر بأني في نفس المدينة التي هو فيها وانني قريبة منه.

ردت دولبر بحرارة:

-سبحان الله هذا الذي كنت افكر فيه طيلة ليلة البارحة وكنت عازمة على ان آخذ رأيك ولكني نسيت ذلك لشرود افكاري.

تواعدت الأمراتان للذهاب معاً الى بغداد. وفي صباح اليوم التالي نهضت دولبر مبكرة مع ميمكه وشمسه لأداء فريضة الصلاة والأستعداد للسفر وبعد الصلاة جلسن حول مائدة الأفطار وبسبب الحاح ميمكه المستمر اضطررن الى تناول قطعة من الخبز مع قليل من الجبن وقدح من الشاي. تناولت شمسه القدح من يد ميمكه وذلك خجلاً من اصرارها ولأنها كانت تحترمها وتكن لها كل تقدير لما كانت تبديه نحوها من عطف ومودة وهي في تلك الحالة وولدها الوحيد ايضاً مرمى في السجون والله وحده يعلم مايقاسيه.

وضعت شمسه قدح الشاي أمامها شاكرة ميمكه بكم من صميم قلبها المكلوم وامسكت بالملعقة الصغيرة واخذت تحركها في قدحها شاردة الأفكار أخذتها أفكارها الى بغداد وجعلتها تحوم حول سجونها.

-ترى في اي منها هو الآن. حتماً سيعذبونه سمعت بأنهم يقلعون أظافر الشبان المعتقلين لكي يحصلوا منهم على اعترافات.

حقاً انهم مجرمون بلا ضمائر كيف تطاوعهم قلوبهم المتحجرة ان يفعلوا هذا بأبناء الناس الم يسمعوا قول الشاعر أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض؟

الا يعلمون بأن لهؤلاء الأولاد والأكباد اهلاً وامهات وآباء ألا يفكرون بأن هذا الذي تحت أيديهم والذي يتناوبون عليه بالضرب بأعقاب البنادق والركل والرفس بأحذيتهم الثقيلة وكأنهم وحوش مفترسة وكاسرة بأنه انسان. الا يعرف هؤلاء المجرمون القتلة لربما لهذا الشخص من يفديه بروحه وعلى استعداد ان يجعل من قلبه درعاً يقيه من تلك الضربات عوضاً عنه وذلك القلب هو قلب أمه؟

مسحت شمسه دمعتها بطرف شالها القطني الخفيف، ورفعت قدح الشاي الذي كان امامها لتشربه فأذا بالصبية نفسها التي نادت دولبر في حينه لتأتي وتكلم زوجها على الهاتف يوم القاء القبض عليه. فأذا بتلك الصبية ذاتها تدلي برأسها فوق الجدار الفاصل بين الدارين في أعلى السطح وتنادي بأرتباك:

-دولبر هيا اسرعي اسرعي، افتحي محطة بغداد كأن القيامة قائمة.

هبط قلب دولبر وارتبكت وتلعثمت واخذت تدور حول نفسها ولاتدري ماذا تفعل وأسرعت نحو الراديو وفتحته بأصابع مرتجفة وقامت بأدارة مفاتيحه على محطة بغداد بقلب واجف وخائف يكاد يتوقف عن الخفقان لأنها لم تكن تدري مالذي حصل:

-ماذا قالت هذه الصبية؟ وماذا خرفت هذه الأبليسة؟ لماذا لم تنورني بل صرخت وغابت في لمح البصر. وما الذي في الراديو؟ اني لااسمع سوى موسيقى عسكرية يالهي أمهلني الصبر حتى تنتهي هذه المارشات العسكرية.

اسرعت شمسه وميمكه بكم تسألانها عن بغداد وعن الراديو هل تمكنت من فهم شيء؟ ما الذي تعرفه؟ ماهي النتيجة؟

أشارت عليهما دولبر بأصابعها كمن تقول:

-رجاءً انتظرن ان شيئاً كبيراً قد حدث في بغداد لاادري ماهو ولكن الذي اعرفه واتخيله انه حادث كبير وكبير جداً.

انتهى المارش العسكري، لحظة سكون وسكوت مميت، قاتل يعصر الأفئدة عصراً. يا الهي ما هذا؟ صرخت دولبر محتضنة شمسه وعمتها ميمكه بكم واختلط صراخها وبكاؤها بزغاريد شمسه وميمكه بكم وبصوت المذيع حين قال:

-هنا اذاعة الجمهورية العراقية. بيان رقم واحد..

أيها الشعب الكريم بعد الأتكال على الله ومؤازرة المخلصين من أبناء الشعب والقوات المسلحة أقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة الفاسدة التي نصبها الأستعمار لحكم الشعب والتلاعب بمقدراته لمصلحتهم وفي سبيل المنافع الشخصية. ان الجيش هو منكم واليكم وقد قام بما تريدون.

صفقت دولبر وهي تبكي وتضحك وتمطر شمسه وميمكه بكم بالقبلات وتقفز وتنط كمن أصابها مس من الجنون ولا تدري هل تهرع الى الزقاق للأشتراك في الزغاريد مع الألوف التي انتشرت بسرعة البرق تهلل وتكبر وترقص، أم تصبر لتتمكن من الأستماع لبقية البيان لا ستحاول تهدئة نفسها لتستمع الى بقية البيان. اكمل المذيع قائلاً وتلبية لرغبة الشعب فقد عهدنا رئاستنا بصورة وقتية الى مجلس قيادة يتمتع بسلطة رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة (عبدالكريم قاسم).

ارتفعت أصوات الزغاريد من جميع الجهات ومن جميع البيوت المجاورة.. هاج الناس ومع ان الأوامر صدرت بمنع التجول مع ذلك اخذ الناس بالتجمع في بيوت بعضهم البعض وفي الأزقة الضيقة يرقصون ويدبكون ويطلقون الأهازيج والزغاريد.

أما أزلام الحكم والمنتفعون منه والمدافعون عنه فقد وقع عليهم الخبر كالصاعقة المميتة لذلك انحشروا في بيوتهم يذرفون الدموع ويرتعشون خوفاً من بطش الجماهير المظلومة الغاضبة الفقيرة التي كان النظام جاثماً على صدرها وكاتماً لأنفاسها مستهتراً

بآلامها مهيناً لكرامتهابعد ساعتين او ثلاث من اعلان نبأ الثورة في بغداد ارسل قادة الأكراد برقيات تأييد ومناصرة وتبريك لقادة الثورة وأخذ عزيز واخوانه بالأستعداد للذهاب الى بغداد للتهنئة وتقديم كل التأييد لهم مع الآلاف من ابناء كردستان حين وصلوا الى بغداد حاملين اللافتات والشعارات المعلنة عن التضحية في سبيل انجاح هذه الثورة المباركة.

كسرت أبواب السجون وتدفق المساجين السياسيين ومن ضمنهم حمه وتحسين اللذين كانا ينتظران أوخم العواقب وأحلك الأيام السود.

عادت شمسه الى السليمانية بقلب مفعم بالسعادة متهللة الوجه لهذا الحدث العظيم وحال وصولها اخذت تنحر الذابح وتوزع الحلويات والشراب من كل الأنواع وأصبحت كل المدن العراقية وخاصة مدن كردستان وقراها وضواحيها وكأنها في أعياد مستمرة.

بعد أيام أعلن في الدستور العراقي وفي المادة الثالثة منه الاعتراف بشراكة العرب والكرد في هذا الوطن وحقوقهم المتساوية وكذلك اعترف الدستور بحقوق الأقليات الأخرى، اندلع لهيب حماسة الجماهير التي اندفعت الى الطرق والشوارع في مسيرات ومظاهرات صاخبة لامثيل لها تأييداً للثورة وقادتها وأعلانها بأنها على استعداد لتقديم كل غال ورخيص من أجلها وأنها تضحي دمها في سبيل الحفاظ عليها وعلى تلك المكاسب الجليلة القيمة.

عاد حمه الى السليمانية والى أحضان امه وعائلته حراً طليقاً يتجول في المدينة ويطلق الضحكات بدون خوف وكذلك عاد تحسين الى احضان دولبر وأحضان والدته وأبنائه مرفوع الراس وهو يدلي بالتصريحات يمنة ويسرة ومع أحوال (الكرفس) والبصل وغيرها وفي نشوة وسعادة فلا خوف بعد اليوم ولا وجل.

كانت شمسه فرحة سعيدة تحس في داخلها وكأنها عادت سنين الى الوراء ونشاطها يضاهي نشاط اية شابة في العشرين من العمر.

كان الضيوف يتوافدون من كل الجهات على دارها لتهنئتها على عودة حمه وأبناء كل العوائل الأخرى وللمشاركة بالفرحة العظيمة التي قلبت كل الأوضاع والأمور رأساً على عقب كانت شمسه جالسة أمام السماور في نشوة وسعادة تصب الشاي في الأقداح لضيوفها الذين كانوا كلهم من أقربائها وأصدقائها وجيرانها وكانت كنتها تريفه توزعه على الحاضرين. قالت شمسه للحاضرين والفرحة تفترش كل وجهها.

-شكراً لك يا الهي. لاحد يعلم ماتخبأه لنا ياقادر يا رحيم. أين نحن الآن، وأين كنا قبل أسابيع؟

قهقهة حمه فرحاً وتوجه بالكلام لوالدته قائلاً:

-امي اتودين ان تأتي معي؟ انني قد عقدت النية على الذهاب الى العم عبدالله وأبنه العريف يوسف. وعائلة زبيدة خانم الكريمة ماذا تقولين؟

ردت شمسه باسمة الثغر:

–وكيف لا؟ أهذا كلام! أنني لو حاولت أن احملهم فوق ظهري لسنين لما اتمكن أن أرد لهم جميلهم علينا ضربت شمسه صدرها بكفها قائلة بفزع:

–فدتك امك يا الهي لو كانوا قد سلموك الى السلطات التركية لاسمح الله. ماذا كان حالي الآن؟

مررت شمسه يدها على وجهها كمن أرادت أن تبعد كابوس تلك الأيام عن مخيلتها والى الأبد قالت مواصلة كلامها بهمس:

–شكراً لك يا الهي شكراً لك من الآن وصاعدا ما حييت.

اخذت تريفه تجمع اقداح الشاي الخالية من أمام الضيوف لتعيد ملاءها لهم. وكانت في أسعد ما يمكن ان تكون عليه من الفرح والسعادة وكانت فوق كل صفاء حالتها النفسية. جميلة فاتنة وهي في أبهى زينتها نظرت لعمتها بدلال قائلة:

–ان الذي يسعدني ويفرحني اكثر واكثر من هذا التغيير هو استقرارنا من الآن فصاعدا في منزل واحد وزقاق واحد. ضحكت تريفه من أعماقها وأكملت:

–فلنودع من الآن فصاعدا الظروف الغجرية والأنتقال من هنا وهنا ليس في الدنيا امر يزعجني مثل امر التحول والأنتقال المستمر أكملت تريفه كلامها بهمس:

–شكراً يا رب وألف شكر لهذه الثورة وهذا الوضع في تلك الأثناء عاد عزيز من خارج الدار حيث كان منهمكاً مع أخوانه

السياسيين في احد الاجتماعات الحزبية واسرع الى حيث الضيوف والمهنئين وبعد ان سلم بحرارة عليهم نظر لوالدته وتريفه قائلاً:

-يجب ان نهنئ انفسنا سننتقل الى كركوك في الأسبوع القادم لقد انيطت بي مهام حزبية هناك.

بهتت تريفه لذلك القول وفترت حماستها بينما ابتسم لها عزيز مؤشراً بيديه ومحركاً راسه كمن يقول:

-ما باليد حيلة هذه اوامر الپارتي.

تمت

١٩٩٢/١٢/٥

گلاويژ-لندن

**********

رقم الأيداع (٤٢٤) من وزارة الثقافة بحكومة إقليم كردستان.